Designer Shaimaa Salah
جروب خربشة للبنات فقط
فرشاة وحشية
Nor black
بقلم : نورا سليمان

سلسلة تمرد وحشي.. الجزء الاول

فرشاة وحشية.. نوربلاك

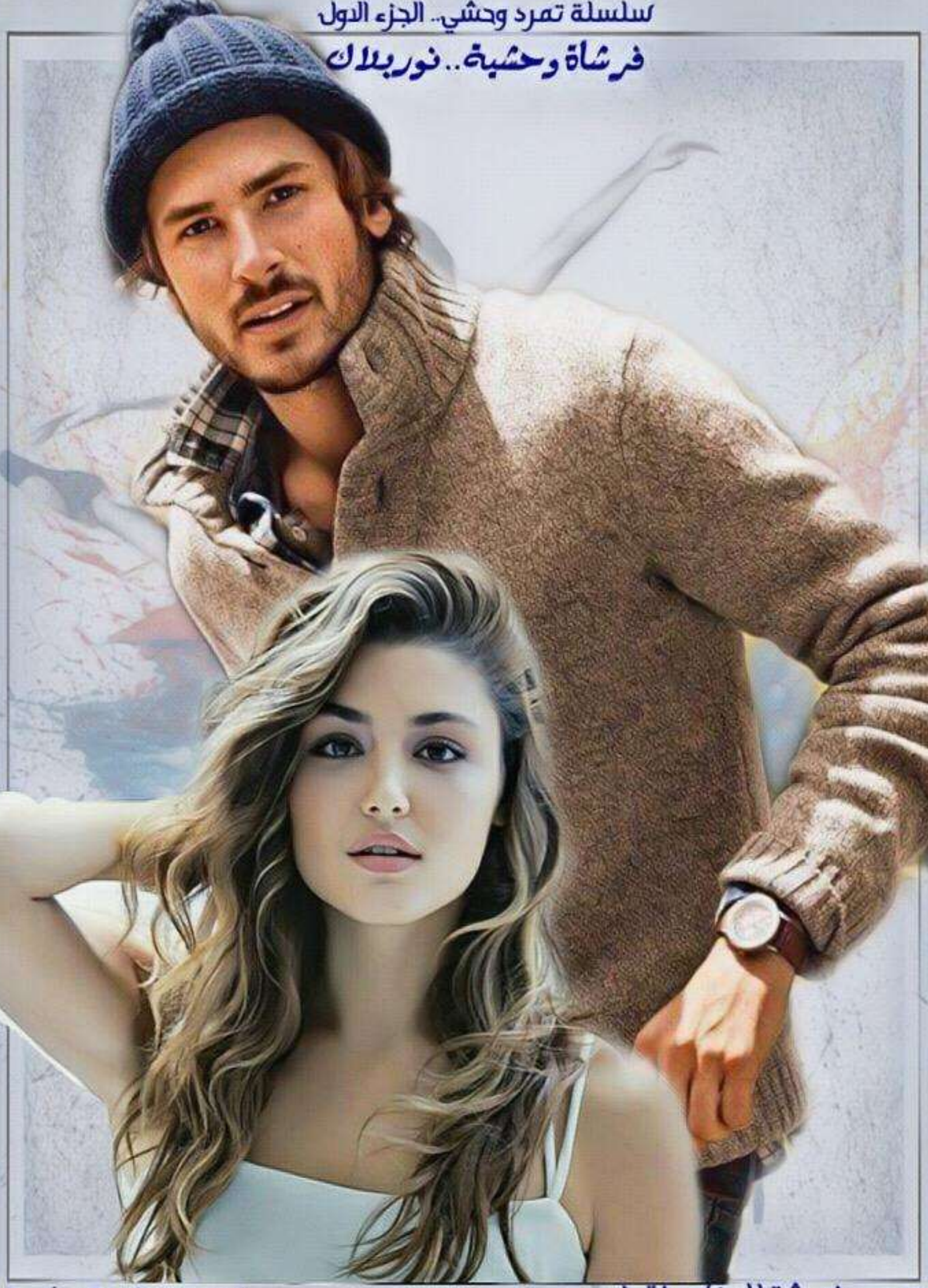

نوفيلا فرشاة وحشية

الجزء الاول من سلسلة تمرد وحشي

بقلم: نور بلاك (نورا سليمان)

تدقيق ومراجعة: رانيا حسني وبيرو معطي

تصميم غلاف: شيماء صلاح

تصميم داخلي وتعبئة: رفيدة مناصرة

فرشاة وحشية.. نوربلاك

فرشاة وحشية

المقدمة ..

ما بين الممكن و اللاممكن تنبعث أحلامنا بالأمل.

فيعاكس طموحنا المتوقع والمفروض.

المرفوض دحر الأحلام وتجنب القدرات ووأد وتحطيم الموهبة،

المفروض يُفرض ممن يعتقد انه يملك السلطة، يتمسك بخيوطنا الخفية فنتراقص كعرائس الماريونت...

وما بين الأبيض والأسود وتلك الرمادية اللعينة، تصرخ ألوان أخرى تتمرد بصخب على المنطق وتضرب بفرشاتها المتوحشة لتفرض اللامنطق، فينبعث النور الجديد المتمرد، شِق آخر يفرض توحش ضرباته، لا يهمه وضع الضوء المتجانس فتصرخ ألوانه ببرية وفرشاة وراء أخرى تضرب بتوحش لهدف واحد

"لا لفرض القيود التقليدية.. ولا لحياتكم المنهجية"

فليتلاشى تشكيل حياتي النمطية تحت موجات بقع ألواني الكونية!!

.....

الفصل الأول:

عندما تتذكر كيف بدأت قصتها معه لا تستطيع منع نفسها من الضحك، الضحك الساخر كما سخريته منها وهي بحماقتها وحماليتها لم تنتبه لها، بل كانت تغرد حوله وتشدو بأعذب الألحان فتتراقص على أطراف أصابعها بخفه فراشة كما تعودت منذ نعومة أظافرها .. منّ الله عليها بموهبة وقاما والداها الحبيبان بتنميتها لتصبح أشهر راقصة بالية في مصر بعمر التاسعة عشر فقط .. وبعدها تُؤهل للمشاركة في عرض الفرقة المسرحية الروسية "البولشوى" عندما زارت مصر. كانت فرصة عمرها التي لم تحلم أن تحصل عليها، بل إنها جاءت في وقتها بعد موت والديها وانتقالها للعيش تحت وصاية عمها فأصبح ذلك العرض هو كل حياتها القادمة والتي تخفف عنها وطئ الحزن على فراق والديها.

جلست "آيتان" بأناقة أمام سُوَر نهر السين وفي مقابلها على طول جسر العشاق شبكة تمتلئ بالعديد من "الأقفال" على كل شكل ولون، ما بين صغير متوسط وضخم بحجم وجعها بحجم الصفعة التي وجهت إليها، بحجم ابتسامته الساخرة التي كانت تحتل وجهه الوسيم وهو ينحني بطريقة مسرحية نحوها وقام بفتحه ثم ألحقه بالشبكة بجانب تلك الاقفال للعاشقين السابقين. تباً هي لم تطلب منه تلك الرحلة ولم تكن صاحبة اقتراح أن يتسللا بعيداً عن أنظار والديه، بل هو من طلب، هو من منحها الأمل وهو من أغواها بعشقه.

أغمضت عيناها تحاول أن تحجب عنها سيل الذكريات المؤلمة، فتحت حقيبتها الأنيقة مثل كل ما فيها وبحركة هادئة بطيئة كانت تخرج القفل الصغير للغاية، قفل باللون الرمادي، رخيص وصدئ، كما تحرص أن تحصل عليه كل عام .. وبنفس البطء وكأنها تتلذذ بكل ما تفعل كانت تمد يديها نحو القفل الصامت البارد وتشبك به قفلها، ثم أخرجت المفتاح الصغير

وبسلاسة كانت تضعه في سلسلة مفاتيحها، همست ضاحكة عجبا وهي تعد أقفالها الصغيرة

"أصبح عددهم أربعة أقفال فوق قفله يا آيتان!!لا هو عاد ولا أنتِ حصلتِ على النسيان والسلام، أربعة بعدد سنوات تمرده وعذابكِ أنتِ ووالديه"

أخذت نفساً عميقاً قبل أن تغلق جفنيها بقوة ثم فتحتهما ومنحت قفله الصامت والشاذ بمظهره الفارغ من الحياة بين كل أقفال العاشقين التي رسمت بحروفهم وقلوبهم المتشابكة نظرة ذكرتها أنه قام بوضع المفتاح في جيبه ورفض أن يرميه في نهر السين كما يُفترض بكل عاشق أن يفعل، كل هذه العلامات وهي لم تنتبه كيييف؟! ساذجة وضعيفة وهشة، وقعت في أول مطب صنعه فنان متوحش برع في تمرده وانتقامه، ولم يكتب لها بعد التحرر منه!!

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

نفس الابتسامة الساخرة مازالت تحتل فمه وكأنها لم تُمحى منذ أربعة أعوام مضت، بينما عينيه العسليتين المتمردتين تضيقان بنظرة مبهمة، يقف أمام حامل رسوماته يضرب بفرشاته ضربة تلو الأخرى بعشوائية، بينما رأسه تتحرك بعنف يميناً ويساراً، ثم تتباطأ بنوع من الدرامية لتعود تعلو مع نغمات النسيان التي تعزفها من تجلس بجانبه.

لم يلتفت اليها ولكنه يعلم أن كليهما يلهثان من فرط الانفعال، وكأن كليهما يحفران صخرة قاسية بأظافرهما!!

بعين الخيال كان يرى دجينة بملامحها الناعمة المشدودة وعينيها البريئتان متوسعتان بينما يدها الماهرة تمسك بعصى"Violin"تحمله على كتفها واليد الاخرى تتمسك به، تضرب عليه بتسارع مجنون فيشتد الألم بداخله مع لحن النسيان يطالب بالتحرر ويتمرد على ما كان، وتعود دجينة بمهاراتها تتباطأ موسيقاها فتُذكره بشابة جميلة تتراقص

حوله ببهجة وفرحه فيضربه شعور الندم، وتعود نغمات تمردها تتعالى بجنون صاخب متوحش بالترافق مع تمرد فرشاته التي أثارت الفوضى والصخب بلوحته، فاختلطت ألوانه الصارخة بفوضوية جعلته يشعر بالرضى.

"لا لفرض القيود ولا لرسم حياته بأشكال نمطية تقليدية"

انتهت أخر ضرباته فوضع فرشاته بإهمال على أحد أركان الحامِل، التفت لدجينة واقترب منها بتمهل الى أن وقف أمامها تماما، أجفلها وهو يقول بصوت مكتوم

"أنا سأعود، إن كان على أحدنا أن يُخاطر ويضحي فهو أنا وليس أنتِ"

وضعت دجينة "الفيلون" بهدوء على ركبتيها قبل أن تتمالك نفسها وقالت

"أنت لست مجبر على فعل ذلك يا جلاء، لقد هربت من قيودك لأربع سنوات كاملة فما الذي يجبرك الأن للعودة وربط نفسك بسلاسلهم؟!"

رفع جلاء كفيه يفرك وجهه بعصبية، ثم تخلل بأصابعه خصلات شعره الأشقر الطويل نسبيا، ثم ما لبث أن زفر بضيق وهو يقول:

"أنا لن أستطيع أن أراكِ وأنتِ تُجبرين على ما خططه أهلكِ لكِ، لن أسمح أبدا بعودتك إليهم وتحطيم حلمكِ بالموسيقي من أجل تلك الصفقة اللعينة التي يريد والدكِ جعلكِ جزءا منها"

ابتلعت ريقها وهي تضع آلتها الموسيقية والتي تعتبرها جزءاً لا ينفصل عنها بجانب الكرسي المهترئ بتلك الشقة الفقيرة والخالية من أي مظهر للترف، ماعدا بعض المستلزمات الضرورية جدا لحياة رجل مثل جلاء.

جلاء!! ومن يصدق أن ذلك الرسام المتشرد الفقير هو ابن أحد أهم رجال الأعمال في مصر!!بل الوريث الوحيد لوالده، ولكن بعد ما

فعله أخيراً وهروبه من تلك القيود حُرِمَ من كل المميزات التي توفرها أموال والده مثلها تماما.

وقفت أمام النافذة الزجاجية التي تُطل على أحد الأزقة الضيقة لمدينة -نيس -درة الريفييرا الفرنسية، والتي تتوزع فيها البيوت الملونة الجميلة بألوان مبهجة تسر النظر، بعضها يرسم عليها بالألوان المتوحشة الصارخة كما يُفضل جلاء.

ابتسمت وهي تتذكر عندما صادفته أول مرة عندما كانت تعمل نادله في أحد المطاعم ودافع عنها ضد محاولة أحد الاغبياء التطاول عليها، صادف تواجد فنانها المجنون هناك وقام بضربه قبل أن يسحبها من هناك ويهربا سوياً.

التفتت لجلاء أخيراً وقطعت الصمت قائلة بمنطق بسيط

"إن ذهبت إلى هناك تطالب بما تريد فهذا يعنى أننا خسرنا حربنا يا جلاء، وأحدنا سلم راياته وببساطة ستعود لقيودك"

احتلت عيناه صرامة غاضبة وقال متوعداً

"لن يستطيع أحد فرض ما لا أريده، كما لن أمنح لوالدكِ الفرصة لتدمير موهبتك، إن لم يسمعنا أحد أبدا ويدعمنا فأنا وأنتِ سندعم بعضنا إلى أن نصل لما نريده"

قست ملامح دجينة فتعارضت مع تلك الهالة البريئة لملامحها، ثم ما لبثت أن قالت بصوت مكتوم صريح

"زواجنا لن يجعلنا نصل لما نريده يا جلاء، أنا وأنت لا نعرف حتى ما هدفنا تحديدا بما نفعل!! أن نجعلهم يعترفوا بنا ويؤمنوا أننا لم نخلق لتلك الحياة التي رسموها هم؟ أنت واهم عزيزي لن يفعل أحدُ منهم"

أخذ نفساً عميقاً كي يكبح ذلك الغضب الأعمى الذي يجتاحه كلما تذكر ما فعله والده في حقه، كم الألم الذي استشعر منهم وكم الإحباط الذي تعرض له والسخرية الموجعة من قدراته وموهبته، أخيرا قال بصوت مكتوم

"لا يهم كل ما تقولينه، أنا لا أنوي تضييع حياتي يا دجينة وأنا هائم في الطرقات، وبالتأكيد لن أسمح لكِ بذلك القيد الأحمق الذي ينوي والدكِ ربطكِ به مستغلا سلطته المادية، أنا أكثر من قادر على مساومة والدي، سأوهمه بما يريد حتى أنقذ أحدنا"

أخفضت دجينة رأسها بيأس وهزت رأسها بقنوط وهي تقول

"افهمني يا جلاء خطتك بالزواج فاشلة، أنت لا تُحبني ولن تفعل يوما .. واجه نفسك لأني لا أنوي أن أسبب الألم لنفسي أو لك"

اقترب منها جلاء ببطء ورفع رأسها بأطراف أنامله قبل أن ينظر بعمق عيناها الخضراوين الساحرتين وقال

"أنا وأنتِ وجهان لعملة واحدة لذا لن نسبب لبعضنا الألم أبداً، بل إن توقف أحدنا سيدفعه الأخر للاستمرار، يكفي نقاشا أنا سأعود إليهم ولن ارجع هنا إلا ومعي الحل لمشكلتكِ، فقط أريد منكِ الصمود والمقاومة والتمرد على من يحاول جبركِ منهم"

أغلقت جفنيها بتعب وهي تأخذ نفساً عميقاً، إنها رافضة لكل ما عزم عليه جلاء ولكنها لم تعترض أو تجادله مرة اخرى، ربما جلاء يحتاج لتلك المواجهة بدلا من هروبه وعناده كل تلك الأعوام!!حتى وإن كان سيأخذ زواجهم حجة ربما يجد طريقه حقاً بدلا من توهانه وتخبطه.

ابتعد عنها والتف على عقبيه حافي القدمين، مشى بتمهل نحو لوحته الصارخة وعقد يديه على صدره، مال رأسه بزاوية متأملا لوحته بضيق وسخط وبقايا ذنب لم يتحرر منه بعد، سأل نفسه

"تباً لماذا لا يتخلص من طيفها ؟!ما سر ظهور وجهها دائماً بين ألوانه ؟! لِما تصر فرشاته المتوحشة علي جلده وبرغم انفه ترسم بريق ضحكتها الذي انطفئ ؟!"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

كانت آيتان تقطع الممر الداخلي للشركة بخطوات أنيقة لفتت انظار الجميع، فمساعدة صاحب الشركة وذراعه الأيمن وابنة أخيه قد تبدو للعين هادئة رزينة ودافئة ، ساحرة مغوية ذات ملامح شرقية دقيقة تميزها بشرة حِنطية ، عيناها السوداء اللامعة واسعة كحيلة تزيدها جمالاً ، طول متوسط لجسد متناسق وخصر نحيف ترسمه بدقة بدلة عملية من اللون الأسمر ذات تنورة ضيقة بالكاد تصل أسفل ركبتيها ، يعلوها جاكت قصير بأكمام طويلة مع تلك البلوزة الرمادية التي ترتديها ، ابتلع أشهب ريقه وهو يراها تخطو نحوه تبتسم بسحر انيق ككل ذرة فيها ، اتجهت نحوه وهي ترفع نظارتها الشمسية فتريح معها شعرها الكستنائي الناعم الى الخلف مسترسلا بتموجات مغوية على ظهرها وقالت

"مرحباً أشهب، لقد افتقدناك في رحلة العمل القصيرة تلك"

سيطر أشهب على تلك النبضة الهاربة منه مرغماً قائلاً بمرح

"من خلال التقرير الذي اسلتيه لمكتب عمكِ لا يبدو لي أنكِ افتقدتني، بل ربما أنتِ سعيدة لأنكِ ربحتِ تلك الصفقة وحدكِ"

كتفت ذراعيها بترفع أمام صدرِها ورفعت حاجبا واحداً، وبعينين تبرقان وحشية قالت "أنا دائما ما اربح منذ أن بدأت العمل مع عمي، فما الجديد؟!"

مال أمامها بحركة مسرحية وأخبرها مدعياً المرح رغم لومه المتخفي "إن كان في مجال العمل أرفع لكِ القبعة احتراما يا سمو الأميرة آيتان، ولكن على مستويات أخرى لا أظن، فذكائكِ وفوزكِ لا يتعدى إنجازات طفل"

كراهية عميقة هي ما ارتسمت على ملامحها الغاضبة المتوعدة، أبدا لم تكن موجهة له عندما قالت بهدوء رغم ملامحها المتشنجة "أرى أنك تخطيت حدودك كمدير تنفيذي، حديثي معك من وقت لأخر لا يعني أبدا أنك تستطيع تحليلي ومصارحتي بوجهة نظرك الشخصية عن أفعالي"

كان عقله يعمل بسرعة ونشاط داخل رأسه وهو يحاول أن يتخطى حاجز برودها، قفز من تلك الصورة البريئة التي يظنها الجميع بها، فهو يعرفها ويحفظ أدق تفاصيلها، بل هو الأحق بها من ذلك الغبي الأرعن الذي حطم تلك الروح المرحة البريئة فيها، تنهد أخيرا وقال بنعومة مراضيه

"لم اقصد إزعاجكِ تعلمين هذا، ربما أنا اردت القول إني اشتقت لكِ آيتان لا تغيبي مرة أخرى"

قالت مرغمة نفسها على إعادة تركيزها على عملها وقوقعتها

"لا تهتم، لا شيء قادر على إزعاجي أشهب"

استدارت مرة أخرى وتركته وقالت من خلف ظهرها مدعية البراءة

"ولا تقلق هكذا على فشلي من الناحية التي قصدتها، أنا صبورة .. صبورة جدا على تحقيق نجاحي واثبات انتصاري أشهب ولو استغرقت عشرة أعوام"

جز أشهب على اسنانه غضباً وغيظاً، متى يستطيع الوصول اليها ؟! وأي طريق قد يستطيع أن يسلكه معها؟ لقد جرب جميع السبل اليها وكلها كانت مسدودة في وجهه.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أخفض عزيز العاشوري هاتفه ووضعه على المكتب الفخم الذي يجلس خلفه ورفع رأسه الأشيب وتهلل وجهه بابتسامة فخورةٍ مرحبة، فتح ذراعيه على الفور فرمت آيتان حقيبتها جانبا واندفعت نحو ذراعي عمها الحبيب تحتضنه بقوة وهي تهتف بانتصار

"لقد فعلتها أخيراً عمي واستطعت الفوز بتوكيل الشركة الفرنسية للعطور لصالحنا، نحن أصبحنا الموزع الوحيد المعتمد في مصر"

ربت عزيز على ظهرها بحنان وهو يقول "كنت أعلم منذ سنوات أنكِ من سيخلفني، إصراركِ وعزيمتكِ على النجاح هما ما يقودانكِ نحو ما تريدين"

اعتدلت لتقف بجانبه وهي تقول بابتسامة مهتزة بددت فرحتها السابقة

"بما أنى فشلت في أمور اخرى وأفسدت مستقبلي وحلمي السابق كان يجب أن أبرع في شيء أخر عمي"

برغم جمود وصلابة عزيز التي تماثل الصخر الصامت البارد في مشاعره لكن عند ابنة أخيه الراحل وأمانته لا يستطيع إلا أن يرق قلبه لها، يريد أن يدفع المتبقي من عمره فقط لمسحِ حزنها وتعويضها عما كان، تماسك وهو يخبرها بحزم ناظراً لعمق عيناها السوداوين:

"أنتِ لم تفشلي، ما حدث كان خطئي وحدي، أما عن تدمير حلمكِ كان قدر صغيرتي، حادث الجميع معرض له"

أطلقت ضحكة مرتبكة ثم قالت

"شكرا عماه على رفعك روحي المعنوية دائماً"

هز رأسه قائلاً بتأكيد

"بل الشكر لوجودكِ بجانب عمكِ وهو في قمة ضعفه وانهياره"

عبست بوجهها وهي تقول بمرح زائف

"من هذا الضعيف يا عزيزِ؟! أنت قرش شرس لا يرحم يا عزو، لم ينحني بسهوله لشيء أبدا"

صمت عنها لدقائق ملحوظة قبل أن يلتفت لبعض الاوراق يقلب بينهم .. قرأ بعض الخطوط بعينيه وعقله أبعد ما يكون عن فهم ما امامه، يعلم أنه غير عادل في تملكه ابنة اخيه بتلك الطريقة ، ولكن جوهرها الثمين لم يمنحه الفرصة بأن لا يفعل ، إن زهرته الرقيقة البريئة والمتوحشة العنيدة في أعمالها تماثله تماما في جديتها وإصرارها ، وفصلها حياتها الشخصية عن عملها منذ أن

ألحقها معه بالعمل منذ أربعة أعوام مضت لم تُخيب ظنه ولو مرة واحدة ، كان يقصد في البداية تعويضها ولو بقدر ضئيل عن ما حدث لها وشغل عقلها بعيدا عن تفكيرها بهمومها ، رفع وجهه يراقبها وهي تتحرك من جانبه بهدوء ولام نفسه الى متى يتمسك بها حد الاستماتة ؟ يعلم أنه يظلمها بتشجيعها على محورة حياتها حول شركتهم وأعمالهم لدرجة نسيانها نفسها وقلبها، قلبها!! قضية أخرى وآيتان لا تقدم أي مساعدة في هذه الجهة، مازالت على عهدها القديم رغم أن صاحب العهد غدر بهم وتركهم ضاربا عرض الحائط بكل شيء باحثا عن نفسه وحلمه، حلمه!! أفتر جانب فمه عن ابتسامة ساخرة عميقة، الأرعن يعتقد أن شخابيطه بالألوان موهبة هامة يجب عليه أن يحترمها ولا يطالبه بأن ينضم لعمل العائلة، منذ أعوام وابنه الغبي لم ينضج ويدرك أنه كان يبنيه ويُعِده لشيء أهم وأعمق، أراده رجلا حقيقيا يعتمد عليه وليس مجرد فنان صعلوك متشرد لا يمتلك قوت يومه.

"هل رأيته؟"

أجفلت للحظات من نبرة عمها المستفسرة بغضب، تمالكت نفسها قبل أن تقول بهدوء ظاهري عكس تلك النار التي اشتعلت لتأكل قلبها البريء "لا. لم أفعل ولن أفعل يوما"

صمتت لبرهة وأخذت نفساً عميق ثم ما لبثت أن ابتسمت ابتسامة صغيرة وهي تخبره

"اتركه عمى يبحث عن ذاته مهما استغرق من أعوام، جلاء طير يصعب أسره، كلنا أصبحنا ندرك هذا، امنحه الفرصة ليحلق وسيعود من تلقاء نفسه"

نظر لها عزيز بإعجاب قبل أن يقول بتلاعب

"هل أنتِ صادقة آيتان مع نفسكِ؟"

وقفت آيتان مره أخرى وهي تهز كتفيها بقلة حيلة مفتعله ثم قالت ببساطة

"بالطبع عمي أتمنى لفنانا الهمام أن يجد نجاحه ويحقق كل أحلامه سريعا، سأكون فخوره به"

وبدون انتظار الرد تركت الغرفة وغادرت، لم يخفي على عزيز ذلك الوميض الذي برق من عيني ابنة اخيه وملاكه الحارس، ولكنه وقف متحيرا هل يسعد بذلك الوميض المنتصر أم يخاف على وحيده ؟!

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

"كم مرة أخبرتكِ ألا تخلعي حذائكِ أمام المنزل؟"

قالتها آمال زوجة عمها بغضب متصنع عندما استقبلتها في ساحة المنزل الواسعة، رقصت آيتان حاجبيها بإغاظة طفولية وهي ترفع يدها الممسكة بحذائها وتخبرها

"أنا كائن بوهيمي يفعل ما يحلو له، اخلعه أمام المنزل أو حتى فور خروجي من الشركة"

نظرت لها زوجة عمها الرقيقة المتكلفة جداً والمهتمة بتصرفات طبقتها المخملية بارتياع وقالت "لا أنتِ لا تجرؤين على فعلها"

هزت آيتان رأسها لأعلي وأسفل بهدوء مؤكدة وهي تقول مغلقة الجفنين

"بل فعلتها فور أن وصلت لمرآب الشركة، خلعت حذائي وجواربي

...وجلست بالسيارة حافية القدمين"

نظرت آمال لقدميها العاريتين بيأس قبل ان تقول:

"افعلي ما يحلو لكِ فأنا أصابني القنوط من تصرفاتكِ"

اقتربت منها آيتان خطوة أخرى وطبعت قبلة عميقة على وجنتها وهي تقول بخفوت

"بعض العادات لن نستطيع نسيانها يا زوجة عمي وأنا خلال أربعة عشر عاما لم أكن أرتدي إلا أحذية البالية المسطحة الخفيفة"

التوى فم آمال بضيق قبل ان تقول مهاجمه:

"جيد أنك تخلصتِ من ارتدائها .. فرغم تمسككِ بها كانت تؤذي قدميكِ مازالت أذكر الجروح والنتوءات البشعة أثر كل تدريب تجتهدين فيه"

اغرورقت عينا آيتان بالدموع فجأة وهي تقول متألمة

"كانت موهبتي وحلمي يا زوجة عمي، حياتي التي اجتهدت فيها منذ أن كان عمري خمسة أعوام فقط، كرست أربع عشرة سنة من حياتي لدراسة البالية وممارسته وعندما كدت ألمس نجاحي بيدي تحطم كل شيء و و و خسرت"

عضت آمال طرف شفتيها بحرقة لتكتم صرخة ندم تريد الخروج، أنها السبب فيما آلت إليه، هي من كانت السبب والبداية، جميع مجتمعهم يشيد بما فعلوه مع اليتيمةٍ ولكن وحدها تعلم أنها جرحتها جرح لن يندمل .. همست داخليا بتضرع

"رحماك يا رب .. وحدك تعلم أنى لم أنوي لها الضرر ولكني أردت ربط أبني بنا عبرها وهي أرادت ورغبت بأن أزوجها إياه"

اقتربت منها آمال مسحت عينيها بطيبة وهي تقول بهمس خافت

"انا أسفه افعلي ما يحلو لكِ يا بوهيمية"

جعدت آيتان وجهها وهي تقول سريعاً نافية بتشدد رغم حشرجة بكاءها التي مازالت تحتل صوتها مرغمة

"لا أنا لست بوهيمية بل مديرة شركات العاشوري، فتاة ناجحة حصلت على بكالوريوس الأعمال من الجامعة الأمريكية بأعلى الدرجات، فلا داعي لتعاطفكِ هكذا بالنهاية لم أصل لقمة درجات البؤس"

"هذا صحيح حقاً، إن الفتاة الذهبية حققت ما كان يأمل به عزيز العاشوري ورمت كل أحلامها وراء ظهرها "مبهرة"

الصوت الخشن المستهزئ والساخر الآتي من ورائها جعلها تتجمد مكانها لدقائق طويلة، مشلولة الجسد، مسجونة الروح

ومصدومةٍ العقل، شعرت بالخواء عندما ابتعدت زوجة عمها عنها سريعا بلهفة تصرخ باسم ابنها وهي تقول "جلاء حبيبي لقد عدت! لا أصدق عيناي"

رأت بعين الخيال من خلال وقفتها المتجمدة لهفة زوجة عمها في احتضانه، فتسكنه بقلب الأم فيها بين أضلعها، تبكيه بحرقة دون تحفظ أو اهتمام بمظهرها.

ابتلعت آيتان ريقها الذي جف في محاولة واهيةٍ للسيطرة على الذات، ثم ما لبثت أن استدارت بجسدها كاملا ناحيته، عيناها كانت أشبه بشعلتين ناريتين من الغضب عندما وقعت مباشرة في عمقِ عسل عيناه المستخفة بها، عادت لتسيطر على انفعالاتها سريعا وبوجه أخذ في السكون التدريجي كانت تبتسم بترحاب وود وهي تقول بمحبة خالصه مدعية البراءة

"مرحباً بالفنان العظيم.. بل أنت من كنت وستظل الفتى الذهبي للعائلة .. وكل ما أنا فيه لم يكن إلا بفضلك، لولاك ما كانت الفتاة الهشة تحولت لأخرى يتفاخر بها والدك .. بينما يتناسى حتى حروف اسمك"

صمت للحظات وهو ينظر لها متمعنا من فوق كتف أمِه التي تتشبث به بقوة كأنها غير مصدقة لوجوده، مستشفا القوة الكامنة خلف القشرة الجميلة والرقيقة، مرغما خطر على باله في تلك اللحظة وهو يتأمل الجسد الفارع بملابس أنيقة عصرية وعملية بقدميها العاريتين وساقيها الطويلتين الجذابتين ، متى نضجت آيتان وهل تركه لها ليلة عقد قرانهم هو ما دفعها لتكون ما هِي عليه اليوم ؟؟ربما هو لم يهتم بأي اخبار عنهم بل ظل هائما على وجهه سارحا في ملكوته الخاص دون أن يهتم بمصائر أحدهم إلا أمه الحبيبة التي كانت تلتقيه كل بضعة أشهر من وراء والده في فرنسا ، ولكنه كان يسمع ويرى عبر مواقع التواصل الاجتماعي صور سيدة الأعمال الصغيرة والمتوقع أن ترث شركات العاشوري لتكمل مسيرة والدها وعمها من بعده تباً يبدو أن راقصة الدراما لن تجعل مهمته سهلة.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

منذ آتى بالأمس واحتفال أمه به وترحيبها لا يقبل شك، تبكي جفائه مرة وتضحك بسعادة لعودته أخيرا مرات، ثم انتهي الحال به ليصعد إلى غرفته القديمة منتظرا أن يأتي والده، ولكن عزيز العاشوري آتى ولم يُبدي أي اهتمام لرؤيته.

نظر جلاء أمامه بشرود متذكراً معاملة والده الجافة له منذ نعومة أظافره، لم يكن يوما أبا حلو المعشر بل كان جامدا قاسيا .. يدفعه بإصرار نحو أحلامه الخاصة ومخططاته دون الالتفاف لأحلام ابنه و قدراته واحتياجاته ، والده كان المحبط لكل محاولته في الصعود والظهور ، لم يراعي يوما قدراته الخاصة ، لم يتعدى تفكيره يوما حد الأنانية والتخطيط لما يريده هو منه ، تدريب السباحة و الرماية ، معاملته بجفاء وغطرسته حتى تشرب جموده ، قسوته عليه منذ أن كان طفلا صغيرا و يحتاج لاهتمام ورعاية ، كسره لأدوات الرسم خاصته والاستهزاء منه عندما كان في المرحلة الثانوية ، الاستخفاف بموهبته وأحلامه أمام أفراد الأسرة فقط ليكسره ويجعله يستسلم لما يريده هو .. وهو بالفعل استسلم في مرحلة ما بل ودرس إدارة الأعمال في فرنسا بناء على رغبة والده، ولكن هناك بدأ يحصل على حريته الحقيقية ، اطلق لموهبته العنان وتوحشت اخلاقه كما فرشاته ، رفض النمطية والرسوم الهندسية التي توقعها الجميع منه ليتجه للألوان الصاخبة الصارخة لعلها تُعبر عن ما يعانيه من الألم داخله وكسر روحه ، ومع انتهاء سنواته الدراسية كان انهي سرا مراحل فهم الفن وتشرب براعته ، ربما هو لم يلتحق بأي مدارس فنية ولكن شوارع باريس وأرصفتها المليئة بمن مثله كانت خير بيئة لتطوير موهبته وإشباع روحه الجائعة المتمردة بالكثير والكثير من الفخر الذاتي ، ولكن للأسف في مرحله أخرى أجبر على العودة بعد أن وصله خبر وفاة عمه ، وعند هذا الحدث الفاصل في حياتهم ..تغير كل شيء ليجد نفسه مجبرا على معاونة والده في مراعاة ابنة عمه الصغيرة و راقصة

البالية الموهوبة.. وبعد عامان قضاهما في شركات والده بشق الأنفس والمعاناة الذاتية ليتحمل الامر، اكتشف أن والده العزيز يخطط لزواجه من آيتان دون حتى أن يسأله عن رأيه، مكتفيا أن فتاته المدللة أعلنت عن موافقتها وتعلقت به كالعلقة فصعب عليه التخلص منها، عند هذا الحد اكتفي جلاء منهم وكان انتقامه مدوياً موجعاً.

"مرحباً جلاء .. سعيد بعودتك"

قالها السيد عزيز بجمود وهو يقف امام شباك مكتبه في المنزل واضعا يده خلف ظهرهِ بصرامة، نبراته جامدة لا حياة فيها كأنه يجبر نفسه إجبارا على مقابلته بعد كل سنين الجفاء التي حدثت بينهم.

قطع جلاء الصمت الذي ساد أخيراً قائلاً بغلظة

"لا اعتقد أبداً أنك سعيد بوجودي سيد عزيز بل ربما استغرقت ليلتك كلها تفكر كيف تتخلص منى سريعا"

لم يبدو على والده التوتر أو حتى التردد وهو يستدير ناحيته ليخبره بنبرة جليدية "لو أردت طردك من هنا لا شيء سيمنعني جلاء، أنت من فررت هاربا شاردا وأنت من عدت لبيتك وموطنك بكامل ارادتك"

قاطعه جلاء قائلاً من بين أسنانه "أنا لم أهرب بل تركت لك كل أعمالك وأموالك العزيزة ونجوت بنفسي من مخططاتك التي خطفت بريق روحي ودحرت مستقبلي وموهبتي"

لم يتحمله عزيز أكثر .. لم يعترف يوماً بتلك الاحلام التي يتحدث عنها ابنه بل السؤال العالق في رأسه "إن كان لجلاء كما يدعي موهبة ما وهو حاول تحطيمها في صغره فلماذا بحق الله عندما نضج وأصبح رجلا يعتمد عليه لم يوازن بين الأمرين ؟!!ما الذي دفع ابنه لمسايرته في كلِ مسار رسمه له هو وأمه دون أدنى اعتراض؟؟ بل كان راضيا جدا عن كل ما يحدث حتى يوم عقد القران المشؤم"

لذا هتف بحدة يسأل بنبرة قاطعة

"لماذا عدت يا جلاء؟ رغم كل ادعائك الظالم في حقي إلا أني أعرفك وأحفظك، أنت لن تأتى بنفسك إلا لحدث جلل"

أطلق جلاء ضحكة خشنة يائسة قبل أن يتحرك في مكتب والده المترف يقلب بين التحف الثمينة بإهمال عارضاً أوراقه المكشوفة

"أريد الدعم المادي والعائلي منك بالطبع حتى أستطيع الزواج من امرأة من اختياري."

تمالك والده نفسه بصعوبة وعضلات وجهه تنفر برفض وغضب أعمى قبل أن يقول جازاً على أسنانه "وما الذي سيعود عليّ من منحك كل ما تحتاجه للزواج من صعلوكه تماثل ما حولت نفسك له؟"

لم يجفل جلاء ولم يهتم أنه لقبه بالصعلوك بل قال مصححاً ببرود

"إذاً أنت تعلم عن دجينة !!ولكن غابت عنك بعض المعلومات هي ليست بصعلوكه بل خريجة . . ."

قبل أن يكمل قاطعه قائلاً ببرود

"أنا لا يعنيني أبداً دفاعك عن رفيقتك .. بل سؤالي هنا أنت اتيت طالباً المساعدة وفي مجال رجال الأعمال أريدك أن تخبرني ما الذي تستطيع أنت أن تقدمه لي بالمقابل؟"

توتر جسد جلاء وعقد حاجبيه مفكراً .. تباً لقد أتى وهو يراهن على تلك المساومة أن يعود لهم وينفذ كل ما يريده والده .. وفور أن يحصل على المال واسمه سيعود لدجينة في الحال ينفذ وعده لها ..أخذ نفس مهدئاً ومسيطراً ثم ما لبث أن قال "سأعود لقيدك وأنفذ ما أردته أنت من البداية .. استلم أمور العمل وأكمل طريقك هذا ما لدي؟!"

أصدر جلاء صوتاً مختنقاً وهو يقطع حديثه ويشيح بوجهه عن أنظار والده الذي يتأمله بتمعن محاولاً ثبر أغواره.

الصمت عم بينهم ربما لدقائق أو وقت طويل من الزمن لا يعلم جلاء تقديره تحديدا ولكنه لم يمتلك إلا أن ينتظر رد ابيه على عرضه.

استمع لصوت والده أخيراً يخبره متنازلاً بنبرة خشنة وهو يستدير يسحب كرسيه الجلدي الضخم وهو يقول

"اجلس جلاء لدي ما أخبرك به وإن وافقت على عرضي .. ستحصل على صفقتك المتبادلة"

نفخ جلاء بتوتر وهو يرفع كلا كفيه يتخلل بأصابعه الطويلة شعره الاشقر المجعد .. ثم تحرك طواعية دون جدال يسحب المقعد المواجه لوالده وهو يقول "تفضل أسمعك"

عم الصمت المهيب مرة اخرى وكأن والده يوازن أمراً جلل في رأسه يصعب البوح به، توتر فمه وهو يخبره "أنا لن أسالك أو أراجعك بزواجك من تلك الصعلوكة ..لقد تعلمتٍ درسك القاسي بأصعب الطرق .. وعلمت الأن أنك لم تكن أبدا خليفتي القادم"

أغمض جلاء عينيه بقوة مقاوماً قسوة كلام والده غير مصدق تفريطه فيه بسهولة هكذا لقد توقع أن يقاومه، يجبره، يساومه ويتقبل صفقته .. أي شيء عدى أن يخبره بكل هذا الهدوء أنه لم يعد يهتم بشيء يخصه .. فقال في محاولة يائسة منه لتكذيب نبرة والده "أنا لا اصدق أنك ستتركني ببساطة هكذا أحدد ما أريده."

هز عزيز رأسه بالنفي وهو يقول بقسوة "بلا! يجب أن تصدق أنت لا تعني لي أو تهمني تصرفاتك وحتى مستقبلك لم يعد يغريني لرسمه وتتبعه .. افعل ما يحلو لك طالما أنك لن تؤذي سمعتي وتطيح باسم العائلة كما فعلت منذ سنوات .. لقد شُفينا من الفضيحة التي حدثت بسببك بصعوبة وإن كانت مازالت بقاياها موجودة"

نظر جلاء لوالده بشيء من الحسرة إذاً أخيراً حصل على حريته المنشودة .. رمى طوبته وابتعد عنه بتسلطه .. ولكن ما باله يشعر بالألم والخواء والخسارة هكذا ؟؟

تمتم "هذا جيد ويسعدني"

حدق والده في ملامحه يستشف مشاعرة المتعاقبة بوضوح .. متى كانت أخر مرة اهتم بمشاعر ابنه وتفهمها ؟!هل يا ترى الحسرة هذه المرة كانت من نصيبه إذ كانت الاجابة الموجعة أبدا لم يفعل ؟!

بحسم كان عزيز يلقي ما بجعبته هو الأخر

"أنا سأمنحك ما تريد .. إن تزوجت آيتان ابنة عمك لمدة عام واحد ثم بعدها افعل ما يحلو لك لن أهتم"

رفع رأسه بوجل وعيناه تتسع بوجه والده .. يحاول أن يستوعب تلك الصفقة الغريبة .. مجرد القاء العرض يعد أكبر أضحوكة سمعها في حياته، شعر أن والده عاد يلقيه بمتاهات لا منجى منها ردد بهمس

"اتزوج آيتان .. هل هذه مزحه؟!ما الذي يجبرني على الارتباط بها وأنا من تركها منذ سنوات؟؟ اعتقدٍ أن هروبي وقتها كان أكثر من كافٍ ليؤكد أني لا أرغب أبدا بربط نفسي بها"

أشاح بوجهه بعيدا عن ابنه محاولاً حجب الألم ومنع سيل الذكريات التي تريدٍ التدفق .. يريد بإصرار محو صورة أمانة أخيه وهي تتألم جسدا وقلبا من تلك الدوامة القاسية التي رموها فيها مع ولده اِلتائه في الأصل، لقد خذله ابنه منذ البداية وعاد بوجع عن غير قصد لقرة عينه، ربما آيتان ابنة اخيه ولكنها لطالما كانت اميرته المدللة شبيهته ..عنيدة ،مصرة وقوية لا تنكسر .. صديقته الأقرب وعقله المدبر المحنك، منقذته إن عصى عليه أمرا وغفل عن حله .. تمتم أخيرا وهو يجيبه مباشرة

"الأمر لم يعد مثل الماضي. لقد جدت أمور كنت غافلاً عنها تهدد بفقدي لآيتان وأربعون بالمائة من أسهم الشركة"

استرعى انتباه جلاء كلياً وسأل باهتمام "لا أفهم .. كيف ستفقدها ؟!"

أخذ والده نفساً عميقاً قبل أن يقول: "عمك رحمه الله ترك وصيه تنص على عدم اقتراب آيتان من أموالها إلا عندما تتم الخامسة والعشرون من عمرها، كان كل شيء جيدا وتحت أمرى وهي تعمل معي بالفعل منذ أربع سنوات .. ولكن الفتاة نضجت وأصبحت امرأة جميله يطلبها الكثيرون من ابناء رجال الأعمال .. حتى أن احد مديري التنفيذ في الشركة يطاردها .. وهي مجرد فتاة بالتأكيد سرعان ما سيداعب أحدهم قلبها"

رفع جلاء يده مره أخرى يغرس أظافره بتوتر في فروة رأسه في حركة عصبية كان يفعلها منذ صغره، لا يعلم سر الضيق الذي أصابه .. آيتان مع أحدهم!! يقترب منها يخبرها كلمات الغزل .. يضع يده على خَصرها الدقيق ويلتهم بعينيه قدها الرقيق .. يخادعها ويقتطف منها قبلة مرغِمة .. يغيبها ويغيب معها في عالم لم تتذوق مثله من قبل قط ..ابتلع ريقه الذي جف تبا ما الذي جعله يتذكر؟!تبا تبا"

قال جلاء هامساً بريق جاف "هذا.. هذا ليس سبباً منطقيا لزواجي منها فأنا لن استمر معها أبدا .. بالمنطق هذا الامر سيقلل من فرصها ويجعل المجتمع ينظر لها بدونية"

ضحك عزيز قائلاً بتهكم "هل ألمح في صوتك نبرة حذر وخوف على سمعة إبنة أخي التي دمرتها بالفعل في الماضي ..هذا يصدمني قليلا بك"

"لا داعي لتهكمك أنا أوضح أمامك الصورة التي وصلتني"

صمت كليهما محدقاً في الأخر .. ثم ما لبث أن قال عزيز مكملاً

"ليس هذا بالطبع ما يدفعني لطلبي بل لأن آيتان عاد خالها يطالب بها بإلحاح ويوطد علاقته بها ومما فهمته وبحثت ورائه هو أفلس ويريد أن تذهب ابنة اخته لتعيش معه بأية طريقة ليقنعها بطريقة أو أخرى بسحب أموالها واستثمارها معه .. وهذا ما لن اسمح به لسببين في الحقيقة: أحدهم أموال ابنة أخي

وأمّانته .. والأخرى إن سحبت آيتان أموالها وانفصلت عنى بالتأكيد سينهار كل ما بنيته أنا وعمك وورثته عن ابى خلال أشهر قليلة"

التوى فمه بابتسامة صغيرة بينما عيناه تبرق بفطنة وذكاء وهو يقول

"وما علاقة كل هذا بوصية عمى المذكورة .. بالعكس تلك الوصية ستأمنك لعام أخر لا أن اتزوجها أنا لعام، كما أن فتاتك الذهبية لن تترك قيدك عزيز بك"

تجنب عزيز سخريته وسعى بإصرار نحو هدفه وهو يخبره "وصية عمك تنص أن من تلجأ له ابنته وتفضل العيش معه هو المتصرف الأوحد في أموالها وله حرية التصرف دون أن يسألها حتى ..أما عن تركى فإذا كان ابنى قد فعل ما الذي يمنع ابنة اخي عن فعلها وقد أصبح كل شيء هنا يزيدها ألما؟ حتى وإن كان بعضهم يطلب ودها مازالت آثار كارثتك تعاني منها فتاتي الرقيقة وحدها"

ساد صمت مهيب بينهم لم يجرؤ أحدهم على قطعه .. لم يستطع جلاء قول شيء أخر أو مجادلته .. وقد اصاب والده الهدف وضغط على جرح دامي غير مرئي داخل روحه .. قطع عزيز الصمت ليخبره بحزم قاطع

"تلك شروط صفقتي إن استطعت تنفيذها فكل طلباتك مجابة .. ولكن يبقي شرط أخر اقناع آيتان بك سيقع على عاتقك وحدك"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

اسبوع مر على صفقة والده الغريبة وهو يعود لدوامة رسم وإلده لحياته لقيود رفضها ولِقسوة نفرها، رفض أن يتفهم رجلا لم يتفهمه أو يحتويه يوما، يسمعه ويصادقه كما يجب أن يفعل كل والد، مثلما كان يفعل عمه مع ابنته مثلا "آيتان "مجرد حروف اسم لأنثى بريئة هادئة وجميلة .. يجب أن يعترف

لنفسه أنه كان يراها جميلة بل ربما اقنع نفسه في وقت من الأوقات أنها تناسبه تماما .. ليس لجمال وجهها فبالتأكيد هو رأى من قبل من يتفوقن عليها جمالا وسحرا ولكن كان هناك شيئا ما يجذبه بشدة لاكتشافها .. يريد أن يعرفها ويقترب منها .. يلمسها ويغوص فيها ليغرق حتى الثمالة ..

"اللعنة .. اللعنة"

لقد اكتشف أن كل هذا سراب فقط رضوخ منه لأوامر والده .. لذا آفاق لنفسه وضرب ضربته القاتلة منهم .. ولكنه لم يقصد يوما أن يؤذيها.

أخذ جلاء نفساً طويلاً مغمضاً عينيه و مريحاً رأسه على الحائط الخلفي لجراج منزلهم الكبير يذكر نفسه بإصرار "دجينة تستحق منه تلك التضحية .. سيخدع تلك الآيتان مرة اخرى ويتزوجها ويحقق لهم ما يريدون .. ويأخذ جانب صفقته ويفل عائدا إلى "نيس "الساحرة ليتزوج منها ويعيشان الحياة التي خططاها هما لنفسيهما .. أما آيتان هو لن يقترب منها في الأساس .. همسها مؤكدا لنفسه فقط خدعة صغيرة أخرى ..لن يحدث شيء وتظل كل الخطوط في يده وحده ..هو المتحكم داخل دوامتهم وسينجو منها متى اراد.

قطع خلوته صوت السيارة التي بددت الهدوء من حوله ..اعتدل جلاء في وقفته ليعود مره اخرى ليسند احدى قدميه على الجدار من خلفه يربع يداه على صدره .. لم يستطع أن يمنع نفسه من تأملها وهي تهبط من السيارة برشاقة .. شعر كستنائي جذاب اللون والملمس ترفعه بعقدة متزمتة فوق رأسها .. فتتمرد بعض الخصلات الرقيقة لتحيط بوجهها الذي يشع براءة مغرية .. وجهها كان خاليا تماما من الزينة! هه إذا الصغيرة مازالت لم تتخلى عن بعض عاداتها وهذا ما تأكد له عندما لمح قدميها الحافيتين والحذاء التي تمسكه بيديها .. تحركت نحوه بقوة صلابة وثقة تعاكس تلك الهالة من الرقة التي تمتلكها خطواتها المتمهلة بعد أن تخلت عن الحذاء جعل تلك التنورة ترتفع وتنخفض فتعلن بوقاحه عن فخذين رشيقين ومغريين ..

المشهد جعل الدماء تغلى في عروقه مرغماً وجعله يتساءل عما سيحدث إن تجرأ وخان عهده لنفسه ودجينة وأوقع تلك "العلقة "فيه وتقبل دعوة ذلك الجسد وخاض في الخطيئة ..خطيئة سيفعلها ضد مبادئه وضد حريته المزعومة إن أتم زواجه منها...

"ما الذي تفعله هنا ؟"

الصوت الرزين رغم جليده جعله ينتبه من أفكاره الخاصة فمال برأسه قليلا ورسم ابتسامة هادئة وهو يخبرها

"انتظركِ .. لي حديث مطول معكِ"

ألقتٍ نحوه نظرة عابرة بطرف عينيها .. ثم عادت تلقي حذائها أرضا ترتديه برتابة وهو تقول بهدوء "ليس بيننا شيء يستدعي الحديث أو حتى التطويل يا جلاء .. كل ما بيننا انتهي قبل أن يبدأ"

تخلى جلاء عن هدوئه الظاهري فأنزل قدمه على الأرض واقترب نحوها بتمهل وهو يجيبها بإصرار

"بل هناك الكثير .. وأنتِ تعلمين هذا .. أنا أريد أن أوضح موقفي"

رفعت آيتان رأسها عندما اقترب منها إلى حد خطر كانت تحرص خلال الاسبوع الماضي أن لا يحدث .. عيناه علِيها بنفس النظرة القديمة وكأنه يحرص على أن يترك تأثيرا خاص به وقد فعل .. حاولت ألا تتوتر ولكنها لم تستطع أن تداري تشنج صوتها وهي تقول

"لا لن توضح أي شيء لي .. كل ما بيننا انتهي ليلة أن تسببت أنت في وئد حلمي في مهده"

للحظات لم تدرك مدى تعلق نظراتهم ببعضها بغير تنازل .. كلاهما يحدق في الاخر بما يشبه التحدي .. لطالما كان جلاء يترك ذلك الأثر فيها بطريقة لم يسبق أن احستها في حياتها قط .. بنظراته المتوحشة وكأنه يبحث عن شيء ما فيها .. عن سبب يجعله يتغذى على روحها هي دون باقي البشر .. حتى وسامته الخشنة رغم شقرته الفرنسية وكأنها اعلان سافر يؤكد أن

تلك البلد التي انتمى اليها جلاء لم تطبع داخل عقله افكارها المتوحشة ولكن ملامحها الباردة.

انتفض شيء داخل قلبها وهي تتذكر ما عاشاه كليهما هناك .. ورغم كل ما كان منه إلا أنها تدرك أنه كان الحدث الحقيقي الوحيد في قصتهم.

ابتسم ابتسامة جانبية صغيرة جعلتها ترتعد وتوقن أنه عرى روحها ليكتشف ما تخبئه داخل عقلها .. ابتسامه ضارية كانت تأكيدا على نظرتها فيه .. أحالته لكائن غير آدمي ..كائن مفترس متوحش يعيش ليصطاد ويقتات على أرواح الأخرين ، ربما يعوض جزئه الذي نقص وعاناه مع والديه.. احست بالشفقة عليه لوهله وهي ترى في عينيه العسليتين كل تلك المشاعر السلبية المرارة والغضب كنمر جريح حُبِس داخل قفصٍ دون أن يهتم احد بسؤاله ما الذي يؤلمه .. جلاء كان ومازال تائها لا هو قادر على الاندماج معهم ولا هو يعرف من الاساس ما هو طريقه ؟!

كان دورها أن تقطع سيل النظرات والذكريات التي تتدفق دون رحمه فهتفت بدون مقدمات "لماذا عدت .. ومتى تغادر؟"

أجفلٍ جلاء للحظات من فظاظتها فعقد حاجبيه وهو يقول عابسا

"لم أكن أعرف أن وجودي يسبب لكِ الألم هكذا .. حسنا ربما أنا سأبقى ولن أعود هناك"

لم تتأثر البته بتلميحه وهي تقول ببرود "وجودك من عدمه صدقني لا يحرك فيّ مقدار شعره واحده ولن يفرق معي يوما، أما عن بقاءك فهذه كذبة ابريل .. سرعان ما ستشتاق لحياة التشرد التي كنت تحياها"

نظر لها ملياً قبل أن يقول بهدوء دون أن تفارقها عيناه

"حياة التشرد استطيع أن احصل عليها في أي مكان .. كما أن عزيز بك اعلن عدم رغبته في وجودي قبلكِ .. لذا أعتقد أن أسباب نفيي سقطت وأستطيع البقاء إن أردت"

أطبقت فمها بقوة تكافح للسيطرة على مشاعرها الملتفة!! فأخبرته بتهكم

"لم ينفيك أحد بل نفيت نفسك بنفسك . . .ولكن أحب أن أعلمك إن كان عمى العزيز يقبل بك عالة في المنزل .. فأنا سأرفض وبشدة"

همس وكأن ما تقول يصدمه

"ما عدتِ تريدين صحبتي ..لما كل هذا العداء منكِ؟"

تمتمت وهي تنزع عيناها بعيداً عنه تحجب وجعها الخاص وهي تخبره

"وجودك من عدمه كما اخبرتك لن يفرق معي في شيء .. كل ما هنالك أنى غير مستعدة للملمت كوارثك ورائك"

لاحظت أن جسده الضخم يتشنج وكأن فكرة هروبه مرة أخرى راودته مرارا وتكرارا خلال الاسبوع الماضي حين كان يتأرجح بين اللهفة والاشتياق والرفض مما يقدم عليه .. فأخبرها بغموض "وإن وعدتكِ أن لا افعل .. إن قدمت كل فروض ولائي وأصلحت ما خربته في الماضي ..فهل تتقبليني مرة أخرى؟"

أشاحت بوجهها عنه وكأنها تمنعه من قراءة عيناها التي ومضت ببريق مخيف سرعان ما خبئ .. ثم ما لبثت أن قالت بنبرة جافة

"بالطبع يا جلاء سأكون من السذاجة إن صدقتك .. قبل أربع سنوات أنت كنت الفتى الرائع الوسيم الهادئ الذي يفعل كل المتوقع منه وفجأة وبدون مقدمات هجرت وخدعت .. هل تذكر رسالتك التي ارسلتها لي قبل موعد عقد قراننا بساعات؟"

سريعاً وكأنه يتهرب من الذكرى أخبرها بصوت اجش

"كانت غلطة لم تكوني أنتِ المقصودة بها"

افتر وجهها عن شبه ابتسامة ميته وهي تخبره "خطأ كلفني كل ما اجتهدت عليه .. رعونتك دمرت اهلك من بعدك"

صمتت لبرهه تأخذ نفساً محترقاً قبل أن تقول بنبرة خالية من أي تعاطفٍ "على كل لا تهتم أنا أسفة من اجلك .. لم يكن من المنصف أبدا أن يجبرك عمي على الزواج منى"

نظر لها من بين رموشه الكثيفة بينما العسل في عينيه يحترق .. فاقترب منها أكثر يمد يده يمسك بأحد خصلات شعرها الشاردة لم تجفل من فعلته ولم تهتز حدقتيها بدت وكأنها تمثال من الحجر لا يشعر ولا يتأثر حتى وهو يخبرها بنبرة أودع كل صدقه فيها

"لم يجبرني احد على الارتباط بكِ عامين كاملين .. ورغم تحفظ علاقتنا في بدء الامر وبُعدي عنكِ ..إلا أن أخر فترة كل ما عشته معكِ وأخبرتكِ اياه كان حقيقيا للغاية ..كان يخرج من قلبي لقلبكِ دون حساب أو تفكير"

من وراء نبراته الصادقة كانت قادرة على رؤية خداعه وكذبه .. هدفه من محاولة التقرب منها فقالت بهدوء متهكم عكس النيران التي شبت بداخلها "ولكنك اكتشفت أن كل هذا وهم وسراب وتكرار والدك الامر على مسامعك هو ما أوهمك أنكِ ترغب بالارتباط بي .. لذا حررتني منك لمصلحتي وهربت هائما على وجهك .. أليس هذا ما تركته لي في خطابك جلاء؟!"

للحظات لم يمنحها الرد .. إذ اخفض رأسه بعيداً عن مرمى نظراتها اللائمة المتألمة .. وبدون مقدمات أو توقف للتفكير كان يلقي طلبه كحمل ثقيل عن كاهله يريد التخلص منه .. حتى وهو مازال متنازع الفكر بين الأمل في قبولها وبين رفض الفكرة والهروب بعيدا عنهم مرة أخرى "ندمت يا آيتان وأدركت خطأي في حقكِ ..أريد العودة والتكفير عن ذنبي"

قالت بنفاذ صبر

"حسنا مرحباً بعودة الابن الضال ما الذي تريده منى تحديداً؟"

لم تنتظر الرد إذ إزاحته بنوع من الحدة من كتفه وهي تمر من جانبهِ تغادره .. بخشونة رفع يده يثبتها مكانها ومال برأسها قليلا للوراء يضع وجهه امام وجهها وهو يقول بنبرة أجشه خافته "أريد أن اتزوجك آيتان ولن اقبل برفضكِ مهما كانت أسبابكِ"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

الفصل الثاني:

وقد فعل .....

ابتسمت آيتان بملامح مبهمة وهي تعاود التحديق لنفسها في المرآه ..هامسه لنفسها "لا اصدق أنكِ سمحتي له بفعلها ؟!لقد كسب جلاء رهانه وتزوجكِ بعد اسبوعين فقط"

عادت تشمخ بذقنها .. وابتسامتها تتلاشى من على وجهها تتأمل بجمود تسريحتها الانيقة أعلى رأسها التي رفعتها ببساطة وانهتها بعقدة جميلة على هيئة جناحي فراشة .. شاردة كانت تعود لهمسها الأحادي

"فراشة يريد حرقها للمرة الثانية بزواج يرضي به والده ليحصل على صفقته ويعود سريعا لامرأته المتشردة مثله"

سيطرت على دواخلها سريعاً .. بينما تبتلع ذلك الألم الذي يبعثرها لشظايا امرأة أحبت بأمانة فخُدِعت .. همست لنفسها بإصرار وهي تعود تتأمل فستانها الابيض الجميل والملتصق على جسدها اللين بإغراء ..فستان احتفظت به لأربع سنوات ماضية منذ ليلة عقد قرآنها المشؤمة .. فستان زفاف مماثل لثوب أخر رقصة لها على مسرح البالية ..لا يختلف عنه في شيء إلا بذيله الطويل ..الحياة معركة يا آيتان لا نتوقف عن القتال فيها.. وأنتِ ضربتِ أول مسمار في نعش جلاء"

سواد عيناها عاد يومض ببريقه المتشفي المخيف بينما تضع أخر لمسة من زينتها الخفيفة ...تتذكر كم عانى الأحمق وهو يتبعها في كل مكان يقدم ندما حقيقيا يلحقه باعتذار ويكرر طلبه في الزواج منها ..انطلقت ضحكاتها بقوة وهي تتذكر وجه جلاء الذاهل المصدوم عندما تم عقد القران بالأمس .. فأتى يريد طبع قبلة مباركة على خدها فمنتعته هي ببساطة مخبرة إياه أن الوقت لم يحن بعد فلينتظر هديتها المميزة.

بهدوء مدت يدها نحو هاتفها وخطت عليه أول رسالة بينهم منذ رسالته التي حطمتها .. أول خطوة حقيقية في انتقامها.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖

"لا أصدق أنك عدت إلينا أخيراً لتأخذ دورك الطبيعي حبيبي بدل تلك الحياة الصعبة التي كنت تحياها"

أخذ جلاء نفس عميق وباسم الوجه والتفت لأمه .. قلق القلب والضمير أيفعلها للمرة الثانية بها؟ ضميره يجلده .. كيف وافق عزيز العاشوري على تلك الصفقة؟ بل ما الهدف من ذلك الزواج؟؟ أيعقل أن يطلقها بعد عام واحد أم يتمسك بها ويجمعها بدجينة ؟!

"يا الله .. ما هذا الهراء الذي يتفوه به؟!هو لا يحب القيود و يكره النمطية ..هوٍ لم يرد الزواج من الاساس ليجد نفسه بين يوم وليلة مجبرا لإنقاذ دجينة على الزواج وربط آيتان باسمه من أجل هدف والده .. أم ربما هو يكذب على نفسه وذلك الهوى القديم عاد يداعب عقله؟!

قالت آمال بقلق عندما استشفت كم المشاعر التي تتعاقب على وجهه

"ما بك حبيبي ؟؟جلاء ارجوك آيتان لن تتحمل أية حركة مجنونة منك"

عبس جلاء وهو ينظر لها قائلاً بحيرة "عن أية حركة تتحدثين أمي؟"

بتردد اخبرته

"وجهك لا يبشر بالخير جلاء ..لا أرى فرحة عريس على وجهك"

أشاح جلاء بعينيه بينما كان شبح أخر مزعج يتربص به .. ينتهز الفرصة لينهش بمخالبه مدمرا ما تبقى له من ضبط نفس "ماذا لو آذاها مرة أخرى ؟!وكيف يستطيع أن يضع عينه في عينها وهو يعرف أنه تزوج منها للوصول لأخرى؟"

وكأنها كانت تقرأ أفكاره عندما أعلن هاتفه عن وصول رسالة جديدة

"مرحباً جلاء .. مِبارك عليك أنا زوجي العزيز ..هل قرأت شروط عقد الزواج جيدا ؟؟"

انقبضت معدته للحظات بينما عضلة بجانب فمه ترتعش بينما يرسل لها

"مرحباً حبيبتي .. بالطبع قرأتها ولا أعتقد أن لها قيمة ..انتظركِ"

قامت آيتان بالرد سريعاً مختصرة "لا هي مهمة جداً عزيزي لأني لن أتنازل عن شرط واحد منها عندما تطلقني"

شعر جلاء بذبذبات الخطر أن شيئا ما خطأ يحدث في تلك المعادلة .. سألها بحرص عبر رسالة أخرى "عن أي طلاق تتحدثين ليلة زفافنا يا آيتان؟ لم يكن هذا أبدا ما اتفقنا عليه عندما تحدثنا مطولا في مكتبكِ"

ضحكت آيتان على الطرف الأخر دون مرح قبل تكتب له أخر رسالة قاسية كاشفة له من فيهما كان الأحمق والضحية والذي وقع في فخ ساذج حاكته هي بنفسها لتلف حول يديه التي تطالب بالحرية أول قيد من قيودها الوحشية!!

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

انقبضت معدته عندما أطل خيال عروسه أعلى الدرج وكل عضله فيه تتحفز عندما ظهرت أخيرا تتهادى بخيلاء .. شعر أسود حريري تتركه خلف ظهرها ..ترفع خصلتين طويلتين تشبكهم بدبوس فضي اللون على شكل فراشة رقيقة يتناسب تماما مع جمالها الوحشي البري .. كانت تبدو ككائن خرافي أتى من قصص الأساطير اليونانية ولكن كائن مخيف يتحداه بعينين سوداوين رغم براءتهم لكن واثقتين مرعبتين متوعدتين ..ببرود جليدي أومأ لها بوجهه رافعا حاجبا واحدا قابلا التحدي رغم الألم الداخلي الذي عاد يحطم املا بسطوة كان يتعشم فيه

قلبه ..نسخة والده في أنثى تهادت وهي تهبط السلم درجة درجة ..وابتسامتها الشرسة تزداد أنفة مثيرة للإعجاب ..لقد كسبت أول جوله .. عروسه العتيد ظفرت بأول نصر في المعركة وأجبرته على الزواج منها عبر خطة ولعبة لم يدرك أبعادها إلا عندما أرسلت له تلك الرسالة والتي كانت كصفعه على وجهه .. تبا ! لقد أجبروه على ما أرادوا ..مازال في صدمته ولا يصدق أن آيتان هي من رسمت تلك الحبكة لتوقع به لماذا ؟؟!لما رمت نفسها في أمر تعرف عاقبته؟ همس بسخط وغضب داخلي صاخبٍ ولم يسمح أبدا لمشاعره أنٍ تطفو على صفحه وجهه "حسنا آيتان سنرى من سيبكي ندما في نهاية اللعبة التي بدأت للتو ؟!"

وصلت آيتان لأخر السلم ترفع حاجبيها قبلت تحديه .. رفعت الخمار الرقيق بنفسها دونٍ أن تنٍتظره ٍليفعل .. دارت خفقان قلبها السريع وأخذت نفسا عميقا سحيقا ترد على رسالته غير المنطوقة "أنت الخاسر جلاء وها انا أٍعلنت أول دفوف حربى ، سأجعلك تندم على ترك زفافنا قديما وهروبك مستغلا ضعفي وصغر سني ، سأنزعك من قلبي وأنحيك عن ذلك العرش الذي احتللته وأنت غائب وحاضر، أنا من ستضع كلمة النهاية...وأنا من ستحقق النصر وجلائك عن تلك الأرض بغير رجعه، فستاني الابيض الذي اعتقدت أنى أرتديه كصك عبودية أخر لك ما هو إلا لون الوهم الذي سيزيد صراخك ويحتل ألوانكٍ ويضرب بفرشاته الوحشية لوحاتك .. ولن تستطع أن تعبر أبدا عن مقدار الألم الذي سأطعن قلبك به"

أظلم وجه جلاء وهو يقترب منها .. يمد يده ينوي سحب يدها تحت ذراعه فنطقت بخفوت جاف مراعية الحضور الذي يراقبهم من بعيد عند باب القاعة المفتوحة

"انتظر خالي سيقدمني لك يا ابن الأصول .. أم أن الفنان الهائم لا يعرف التقاليد؟"

امتزج الظلام بالغضب بخط ملامحه الوسيمة ثم ما لبث أن قال

"خالكِ المفلس الطامع الذي يريد أموالكِ .. وأنتِ الساذجة التي تريد الحماية من خططه؟"

وجه بملامح شرقية خشنة وجذع عريض فارع أطل مِن وراء كتف جلاء يخبر آيتان بأريحية "أرى أنه لا يستحق أبدا تشويه سمعتي بأني مفلس آيتان .. ليكن في حسابكِ أنتِ مدينة لي بخدمة"

بسط كفيه بعجز مصطنع امام جلاء المصدوم "اعذرني أنا صريح حد الوقاحة أحيانا ولكن أنت تستحق ما فعلوه بك، تعلم أن الخال والد ويجب على مساندتها"

لقد وقع في عصابة بقيادة والده!!هل يضرِب بعرض الحائط كل شيء الأن ويرمى يمين الطلاق عليها ردا لما فعلوه ويحطمها هذه المرة الى الابد؟!!

وكأنها استشفت ما يفكر به فاقتربت منه هذه المرة بنفسها قائلة بصوت منخفض وبارد مشبع بالعزيمة المشربة بالحسرة

"عن أية فعله تتحدث يا "آصِف" هل تعتقد أنه مهما أصلح جلاء من أخطائه سيستطيع يوما أن يعوضني ثمن قدمي التي شوهت وموهبتي التي فقدتها الى الأبد؟"

نظر لها جلاء بتوتر والصمت عم من حولهم طويل و مرعب .. ثم ما لبث أن قال بتردد "عن ماذا تتحدثين بالضبط ؟؟ ألم تتركِ رقص الباليه من اجل عملكِ؟؟"

اقربت منه آيتان خطوة اخرى بينما خالها يراقبهم بصمت ووجه صامت التعبير غير مفسر بينما قالت هي بصوت خفيض "لا جلاء لقد رقصت رقصتي الاخيرة على الأشواك وتناغمت درامية حركاتي على شظايا زجاجك الملون المكسور الذي رميته تحتي فأدميتَ قلبي وسلبتني أخر رمق لي في التحرر عبر ألواني الخاصة مثلك"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ربما زفافهم الفخم والذي أقامه والده بهدف المظاهر الاجتماعية كالعادة .. كان زفافا أسطوريا يتمناه أي شاب ولكن لما لم يشعره

بأي بهجة؟! لا هو ولا عروسه التي ترسم ابتسامة مقتضبة خالية من الحياة على صفحة وجهها الجميل .. قاما بأداء رقصتهما مجبران وكانت خالية من الروح والمشاعر .. حسنا ربما هي لم تتأثر ؟! لكنه أصابه التوتر ليعترفٍ لنفسه آيتان مازالت تترك فيه ذلك الشعور الغير مرغوب فيه أبدا!!

"أنا سأنام التجهيز للزفاف كان متعباً بشدة وتنظيم قوائم الاسماء بكل رجال الأعمال هؤلاء كان يحتاج جهدا إضافي ..أرجو فقط أن يكون أتى بثماره لعمي"

أجفله صوتها الباردٍ حقاً ليخرجه من دوامته الخاصة .. تحرك جلاء وغضبه أخيرا يتحرر من قفصه الذي روضه فيه خلال الساعات القليلة الماضية فاقترب منها دون تفكير وقبض على ذراعها بغضب وهو يسألها بنبره منخفضة خطيرة "أنتِ متواطئة معه ؟!أنتِ من جهزتِ تلك الخطة الغبية لتوقعي بي ..لتفرقيني عن المرأة التي وعدتها بالزواج حقاً ..لماذا؟؟"

علامةٍ استفهام خرجت صارخة غاضبة بينما عيناهٍ تطلق شرراً متوعدا كأنه نمر بري وجد نفسه فجاءة محشورا داخل شباك صياد ماهر وأدرك بعقله أن لا خلاص!"

حاربت لتتحرر منه ..شهقت مذعورة لوهله وهي تراه يحاوطها بجسده مرجعها للخلف إلى أن سقط كلاهما على الفراش ..عيناه المشتعلة كشمس يوم صيفي حار أتى برسالة من جهنم جعلت للحظة لحظة واحدة الخوف يتملك منها ..يداه القاسية كانت تُكبل كلا يديها التي قاومته فوق رأسها بينما يقول بنبره أكثر خطورةٍ

"قديماً أدخلكِ عزيز في اللعبة ولم أتردد لحظة لضره فيكِ ..فأخبريني الأن ما الذي يمنعني من تدميركِ آيتان ..أن اتشرب روحكِ كما سأنتهك جسدكِ!!ثم أطلقكِ ليلة زفافكِ وأعود من حيث أتيت وهذه المرة فضيحتكم ستكون الى الأبد ؟؟"

احساسها بيده وثقل جسده القاسي فوقها وكلامه الفج المتوحش يخترق أذنها جعل أحاسيس مجنونه تتصارع داخلها وتجعل كل

تماسكها يطير في الهواء .. لقد كان قريباً منها للغاية .. قريبا إلى حد جعل قلبها ينتفض بخفقان عنيف جعل أنفاسها تتلاحق ..أخبرته من بين أسنانها

"جبان مجرد طفل أحمق ..جبان لا يجيد إلا الهروب وكلنا يعلم أنك لن تستطع فعل شيء أو أن تأخذ مني ما لا أريد منحك إياه"

لوى فمه باستمتاع بينما يحجب ألماً من نوعٍ أخر ..ألم الوحيد المتسبب به هو عزيز العاشوري!! شفتيه لمست أذنها وهو يخبرها بخفوت

"هل تراهنين أنى لن أستطع اخذ ما أريد منكِ ؟! أم هل أذكركِ بما كان منكِ أخر ليلة بيننا في باريس؟"

أطلقت شهقة خافتة فضحت ذكرى لم ينساها كلاهما فأغلقت جفنيها لثواني معدودة تحاول أن تسيطر على قلبها الخائن وقنواتها الدمعية الغبية حتى لا تبدي أي رد فعل آدمي أمامه ..فتحت عيناها السوداوين سريعا لتخبره من بين أسنانها "ابتعد عني جلاء ..صدقني لن يفرق معي كونك تنال منى أي شيء أم لا ..أما عن طلاقك مني فالشاة لا تذبح مرتين ..مرتك الأولى كانت أكثر من كافية ..أما هذه المرة لن يذبح أحد إلا أنت ودجينتك الغبية، هل تعتقد أنى وضعت تلك الملايين في عقد الزواج من أجل مظاهر اجتماعية ؟ بالطبع لا بل لأطاردك بها وأزج بك في السجن لعلمي أنك وصعلوكتك لا تملكان حتى قوت يومكما"

تمتم: "توقفي عن استفزازي ..أنتِ الطرف الضعيف هنا"

أجابته بقوة تنبع من داخل ذكرياتها القديمة

"كنت يا ابن عمى الطرف الضعيف الساذج ..ولم أعد بفضلك"

قال هو بقسوة "نعم ..علمت هذا جيدا تحولتِ لنسخة أنثوية من عزيز ..أضعتِ نفسكِ بحجة أني السبب"

لا فائدة إنه يتغابى ..يحاول نكران ما سمعه منها أمام باب القاعة .

"ابتعد عني جلاء لأنني لن أتردد لحظة بضربك بأي شيء تناله يديّ"

فقال بصوت عميق بارد "ما الذي يجبرني على عدم أخذ حقي من الصفقة؟"

أشاحت بوجهها بينما تحاول تناسي رجولته الفجة الطاغية التي تشعرها بأنوثتها المدفونة منذ أربع سِنوات مضت ..بعنفوان كانت تنفض مشاعرها المتناقضة جانبا ولم يطل الصراع بين جسديهما المتشابكين قبل أن تُجبر ساقيها أن تتفاعلا مع يديها وتُزيحه عنها بقوة ..فلتت من تحته بصعوبة ووقفت بعيدا عن الفراش تخبره من بين أنفاسها المتصارعة بغضب

"انا أجبرك ..أنت لن تنل مني شيئاً"

صمتت لبرهة قبل أن تقول بجمود لا يضاهي النار المشتعلة في صدرها والمرار العميق الذي ينهش قلبها دون رحمة

"ودجينة تمنعك ..لن تكون سعيدة إن علمت أن امرأة شاركتك الفراش قبلها ..وأنت كعاشق يقدم على المستحيل من أجلها بالتأكيد لن تقدم على أذيتها"

اعتدل جلاء وتقدم منها يقف أمامها يكاد يلامس رأسه المنحنى رأسها المرفوع بتصلب شامخ فقال بغموض بارد "ومن سيخبرها ؟؟مجرد صفقة أُجرِيت من أجلها ..وهي من الذكاء والثقة بي لتدرك هذا"

أطرقت آيتان بوجهها وهي تقول بصوت باهت محترق لم تستطع أن تداري الوجع بين طياته

"المرأة تعلم ..الحبيبة تشعر جلاء"

صمتت تسيطر على مشاعرها قبل ان تضيف بتهكم

"وأنت لن تُسبب لها هذا الألم صحيح؟!"

لم تفهم سر شحوبه وهو يقول "نعم صحيح تماماً الحبيبة تشعر وتعلم"

استدار مغادراً دون كلمة جدال أخرى ..ثم ما لبث أن التفت برأسه يسألها "مازالت لم أفهم سر لعبتك للزواج آيتان إن كنتِ لا ترغبين باستمراره ..ومازالت أريد أن أعرف كيف كنت أنا السبب في اعتزالكِ لشغفكِ؟!"

الغضب تصاعد بداخلها تدريجياً فقالت بنبرة شرسة

"أخرج من هنا وكف عن الكذب ..أتريد إخباري أنك لم تعلم بسقوطي الشهير عن خشبة المسرح عقب ما فعلته بي ؟!!"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

كانت تلتف حول نفسها بجنون غاضب عقب خروجه من غرفتها وتوجهه لغرفة أخرى ..كانت قد أعدتها زوجة عمها كغرفة إضافية ليس لها معنى او ربما أمال هانم تعرف جيدا أن لا فراش سيجمعهم سويا ..ولكن بسلبيتها المعتادة تتهرب من الحقيقة ..بالتأكيد لن ترد للخدم اكتشاف أن العريس لم تسمح له عروسه بلمسها ..على كل حال هذا الجناح المنفصل عن باقي المنزل هو أفضل حل لتلك المرحلة ..تخلصت من فستان زفافها بالفعل وارتدت منامة خفيفة عملية ..شرعت في فك عقدة شعرها وهي تتوجه للفراش أخيرا فجذبها صوت جلاء المنخفض آتيا من خلف الباب المتصل لغرفهم ..فضول القطط أجبرها أن تقترب وتحاول أن تفهم مع من يتحدث بعد تلك المواجهة بينهم وليتها لم تفعل ! خنجر من الصخر المسنن كان يطعن صدرها بقوة يشطر قلبها نصفين وليته خرج منه بسلام بل ترك تلك الشظايا من بقاياه داخل فؤادها المحطم كأنه يقسم أن لا يمنحها السلام يوما حتى وإن شفت غليلها منه ..كان صوت جلاء رقيقا مهادنا وهو يخبر الأخرى

"دجينة أرجوكِ لا تحزني ..ألمكِ يقتلني حبيبتي ما قرأته على شبكة التواصل محض مبالغات وخيالات ..زواجي من آيتان مصلحة وصفقة أجريتها مع والدي ..خلال وقت قصير سأكون

عندكِ وأتمم زواجناً حتى نتخلص مِن عقبة أهلكِ إلى الأبد ..فقط عديني أن تظلي في مأمنكِ بعيدا عن يديه اتفقنا"

ما بال الدنيا تظلمٍ في وجهها هكذا ما بال الوجع المرير يصر أن لا يترك صدرها يوما ..أن تعرف أخباره وما يفعله شيء ..وأن تسمع بأذنها وصفها في نظره شيء أخر ..كانت ترتعش حرفيا وهي ترفع غطاء الفراش وتندس تحته وهي تخرج هاتفها تضغط على رقمه وكأنه كان يتوقع اتصالها وهي تقول مباشرة بنبرة مهتزة "يحدثها خالي ..يصبرها على ارتباطه بي .. ينكر أنه يعلم بدماره لي ..آصف أنا أتألم"

على الجانب الآخر كان آصف يحاول أن يداري ذلك الغضب البارد ثم ما لبث أن قال

"وأنا أخبرتكِ آيتان أن لا فائدة من تلك الخطة الغبية التي رتبتيها مع عمكِ ..كان يجب أن ترميه وراء ظهركِ ..تنسيه و تبدأين حياة جديدة"

تعلم جيداً أن علاقتها بخالها لم تكن يوماً إلا صداقة قوية صريحة دون حتى مجاملات ولكنها الليلة تشعر بالوهن والضعف، تخرج من تلك القوقعة للمرأة الجليدية والحديدية الشرسة التي تنتزع صفقاتها من أشرس حيتان رجال الأعمال ولكن عندما يصل الأمر لجلاء كل حساباتها تنقلب وتتغير

بدون تفكير قالت

"أريد أن أؤلمها ..أريد أن أوجعها هي الدخيلة ولست أنا"

لطالما كان آصف رجل التحديات والمهام الصعبة ..لم يحفر في الصٍخر من بداية شبابه في الغربة إلى أن كون ثروته بالسهل أبدا.. بل كان عليه أن يحارب حضارة وشعب ومنافسين شرسين ..لذا إن لعبة خضراء العينين كدجينة ما هي إلا متشردة بغيضة تُعَد وجبة خفيفة .. سيقتلعها من حياة ابنةٍ اخته إلى الأبد ويستمتع بتناولها وهي تنتفض بين يديه رعبا!! لذا رق صوته هذه المرة وهو يخبرها "ما حدث مؤخرا كان كثيرا على اعصابكِ صغيرتي وأنتِ بشر لذا طبيعي أن تهتزي الأن وتفقدي

إيمانكِ بما تفعلين ..لذا أريدكِ أن تنفضي رأسكِ الأن من كل ما سمعتي وتخلدي للنوم."

حاولت توضيح نفسها وهي تقول بوجوم "خالي أنا لست ضعيفة ولكنى .."

اسكتها وهو يقول "أعرف آيتان ..أريدكِ ان تتذكري أنا دائماً في ظهركِ ..ولكن انتظر منكِ أن تعلمي ما تريدينه من ذلك الجلاء أما الصعلوكة الأخرى فسأخلصكِ منها الى الأبد ..أعدكِ بهذا"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

اغمضت آيتان عيناها أخيراً تحاول الاسترخاء ..حسناً كما قال صديقها الغالي وخالها الحبيب هي بشر وتحتاج لهدنة ..فاصل ولو ليلة واحدة حتى تستطيع المواصلة فالقادم مع جلاء أسوأ .

وما إن أغلقت عينيها حتى عاد القلب الخائن يتضامن مع الجسد المتعطش لأحضانه يذكرها بقسوة معنى أن يلمسها رجل كجلاءٍ كان يجسد كل احلام المراهقة وذكريات الشباب ..وفورا لا ارادياً كأنها تعزل نفسها عن الواقع ..كانت ترحل لعالم موازي ..ذكرى منذ أربع سنوات كاملة ..ذكرى جلبت دموع أحرقت عينيها ..فرجِبت بشدة أن تستسلم للبكاء ..لأن تدفن نفسها وتتلاشى بعيداً عن الحمل الذي ألقي فوق كتفيها ..عن سلاح الانتقام الذي تصر عليه هي نحو هدف محدد .

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

باريس قبل أربع سنوات:

شارع الشانزليزيه الشهير..

كانت تتراقص حرفياً على أطراف أصابعها وهي تتقافز حوله بخفه ورشاقة لراقصة باليه شابه لم تتوقف يوما واحدا عن التدريب منذ أربع عشرة سنة مضت كما أخبرته بانطلاق مرح

"سيقتلك عمي إن علم بتسللنا."

مد يده يقبض على يدها وهو يقول بجفاء "أنتِ خطيبتي رسمياً الأن وليس من شأنه أبدا كيفية إدارة علاقتي بك"

لم تكن حالتها الحالمة آن ذاك تسمح لها بأن تنتبه للنزاع الداخلي الذي يعانيه ..فهزت كتفيها بذات المرح تخبره "ولكنه اخبرِ والدتك أن نقوم بشراء فستان الزفاف فقط ولا تدعك مطلقا تنفرد بي"

توقف جلاء عن المشي فأجبرها أن تتوقف معه وتنظر له بتساؤل قبل أن يسحبها مرة أخرى نحو زقاق ضيق صغير يقع بين أشهر محلات الشانزليزيه (ديزني للألعاب ومعرض شركة سيارات المرسيدس العالمية) عندما ألصقها بالحائط يحاصرها بجسده وأحد ذراعيه تستند بجانب رأسها ..فأخبرته مرتبكة "ماذا هناك ؟ ابتعد عنى جلاء"

في هذا الوقت كان جلاء يلتزم بكل أوامر والده بيأس وقنوط فقط يتبع أهوائه وما يخططه له دون أدنى مقاومة ..لم يكن حتى يريد أن يقاوم الرجل الجاف البارد الذي دمر طفولته ..وحكم على مراهقته وشبابه بالقيود المميتة ..حتى زواجه وشريكة حياته لم يمنحه الفرصة لاختيارها بل فرض عليه آيتان فرضا وهي طفلة لا يتعدى عمرها السابعة عشر بحجةٍ أنه الضمان والأمان لها بعد وفاة والديها في ذلك الحادث ..أخيرا طلب منها الرد سائلا" بمن تهتمين يا آيتان علاقتكِ بي أم بغضب والدى ؟من منا هو أول أولوياتكِ؟؟"

عبست دون فهم حقيقي لمقارنته الغريبة ولكنها اجابته بحنكه "كليكما أهتم لأجله ..ورغم حرصي على غضب عمي ..ولكني ايضا لم أرفض دعوتك للتسلل من وراءهم"

صمت للحظات طويلة قبل أن يقول "لماذا وافقتِ على الزواج بي؟"

السؤال الفج صدمها للحظات فتورد وجهها خجلاً وهي تتهرب من نظراته المثبتة عليها ..تلعثمت وهي تخبره مختصرة مستسلمة "لأنك . . .جلاء"

فسألها بصوت أجش "وماذا يعنى هذا لكِ آيتان؟ فسري لي"

عضت شفتيها بإغراء جعله مجبر أن ينظر لها بطريقة أخرى أجبرته هي عليها برقتها منذ وقت مضى رغم تجنبه لها في الماضي ورفضه لها داخليا ..ولكنٍ كل شيء تغير عندما أجبرته الاقتراب منها واكتشافها حقيقة سمع صوتها يأتي خافتا رقيقا وهيٍ تقول مكررة "أنك جلاء ..لدى هذا التفسير وحده يكفي حاليا"

وضعت يدها على صدره تحاول أن تزيحه فصدمه الذبذبات المشحونة التي صعقت كليهما اهتز جذعه الضخم بينما يبتعد عنها خطوات، فشعرت بنظراته تمسح وجهها ..تمشط جسدها ..بسروال جينز ضيق من الأزرق الفاتح وقميص أحمر اللون بدون أكمام والذي التصق بحناياها بدلال ..شعرها الكستنائي الناعم يستريح على كتفيها بحرية و نسمات من الهواء الرقيقة تداعبه لتشرد بعض من خصلاته الحريرية وتقع على شفتيها المكورتين كحبة فاكهة مغرية للقضم..

مد جلاء يده وكأن قوة لا ارادية تجذبه نحوها ليغرق في تفاصيلها وينسى تماما أنها مجرد فرض أخر من والده! أعاد خصلة شعرها وراء أذنهاٍ بهدوء ومال وجهه نحوها ليخبرها بخفوت "أنتِ جميلة جدا آيتان ..وأرق من أن تتحملي القادم ..دائما ما انظر لك وأتساءل كيف لفراشة باليه مثلكِ أن تتقيد بقوانين؟!!"

علمت هدفه فور أن توقفت أنفاسه أمام أنفاسها المتلاحقة تأثراً بفعل كلماته التي تتلاعب على أوتار قلبها الذي احبه".

اختنق وجهها بالخجل وهي تحاول أن تبعده عنها هاتفة باستنكار "أنت يا جلاء ما بك اليوم؟ وعن أية قوانين تتحدث؟"

سريعاً كانت تهبط بقامتها وتنزلق من تحت ذراعه التي يثبتها ..وتخبره بمرح وهي تقفز على أطراف أصابعها

"هل ستختار معي فستان الزفاف؟؟"

ارتعش جانب فكه وهو يخبرها: "نعم قد أفعل"

فقالت بهمس

"والدتك تقول أنه فأل سيء ولكن معك لا يصبح شيء أبداً سيئاً"

راقبت كيف تحرك حلقه بصعوبة وملامح وجهه تتبدل بتلك النظرة الغامضة التي يحجب فيها نفسه عنها ..ثم ما لبث أن قال بنبرة خشنة

"ما رأيك أن نكسر جميع القواعد يا "بنفسجية" ؟"

عضت آيتان شفتها السفلة تردد باستفهام "بنفسجية!!"

عاد يقترب منها يلمس أطراف شعرها بشغف أفلت منه مرغماً وقال

"لدي مفاجأة لكِ ليلاً وسأخبركِ معها كيف أراكِ يا بنفسجية"

ابتسمت بخفر وهي تومئ موافقة وقلبها المسكين يغرد بنغمات الحب التي يتراقص عليها جلاء بغير انصاف ..سمعته يخبرها مرة أخرى

"ما رأيكِ في فستان زفاف غير تقليدي ..نمزج فيه لون البنفسج بلون البرتقالي والأزرق"

هزت آيتان رأسها بتعنت رافض وهي تخبره "لا اقتراح مرفوض جلاء ..بل أريد فستاني هو نفسه نفس تصميم أزياء رقصتي لبحيرة البجع"

أمسك وجنتها بين أصبعيه قائلاً بصلابة وبدون تفكير "اكره التقليدية والقيود ..آيتان أنا اخترتكِ وداعبت قلبكِ لأني اقدر بشدة ذلك الجزء المتمرد فيكِ الخارج عن المألوف فلا تغيري نظرتي لكِ"

ابتعدت عنه آيتان بلطف تمسك كفه بين يديها ثم اخبرته بثقه هادئة مسيطرة "تلك ليست قيود ولكنه حلم لكل فتاة .. تقليدي اجتماعي ننشأ عليه منذ الصغر ..وإن رغبت في شيء مثل باقي البشر هذا لا يعنى أبدا اني أرضخ للقيد"

صمتت للحظات ثم ابتسمت ابتسامة جميلة وضعت فيها كل رقه العالم وهي تخبره "كما أنى اخبرك بأنى سأضع فيه بصمتي الخاصة ..ليصبح يومي مميز رقصتي وحلمي مع فرقة (البولشوى) وبعدها زواجي منك أنت ..ستصبح ملكي ولن تشاركني امرأة أخرى فيك"

نبرة التملك في صوتها ..تلك الغرغرة التي خرجت منها مرغمة فضحت ضعفها نحوه ..آيتان تعرف أنها لم تكن المرأة الاولى في حياته ..تعرف عنه اكثر مما يرغب وهذا ما أثبتته عدة مرات في أحاديثهم التي بدأت منذ شهور ولكن هذا الامر لا يزعجه لأنه ببساطة عاهد نفسه معها ألا يرتبط بامرأة سواها .. فقط هي من ستكون في حياته ..ولكن تلك النبرة التملكية جعلته يفكر ملايين المرات هل سيستطيع أن يحقق لوالده تلك النمطية التي يُسَير بها حياته؟ تلك القيود التي يلفها حول عنقه الى أن أصبح غير قادر على التنفس ..أحلامه تداعبه وعقل الفنان وتمرده يخبره بل ويأمره بالرحيل ..ولكن بقايا صوت باهت بداخله يجبره على البقاء . . .

ليلاً الشمال الغربي لحديقة "شامب دى مارس"

تحت برج "أيفل" مباشرة كانت تتلألأ بالبرج الضِخم الأنوار بطريقة خطفت عقل آيتان ..فجعلتها ترقص طربا بانبهار دون موسيقى ..بينما ضحكة خالية من كل صراعاته الداخلية ترتسم على وجهه ..الشغف هو ما كان يحيط بالأجواء ..فستان من البنفسج كان يزين جسدها البض بمنحنياته المثيرة جعلته يتساءل كيف لآيتان ان تجيد رقص الباليه رغم أنوثتها التي تغوى قديس زاهد في النساء ؟!! رغم القاعدة المعروفة أن راقصات الباليه يمتزن بالجسد الضئيل ولكن يبدو أن البنفسجية تكسر القاعدة.

التفت حوله وهي ترقص على قدم واحدة، ترتفع على أطراف أصابعها بينما قدمها الأخرى تتشابك مع ركبتها ويديها أمامها متشابكه الكفين لتوازن جسدها ..ادعت التذمر وهي تخبره "لا

ترسمني بهذا الشكل ..أين ملامحي ..كل ما أراه الأن مجرد ألوان صاخبة"

تحركت مرة أخرى بالفعل من أمامه ..فأخبرها وهو يتأمل دورانها حول نفسها عدة مرات بخفه فراشة حقيقة ترفرف حوله وتقتحم حصون قلبه

"تلك هي ألواني ..لا يهم الشكل الموجود بالرسم ما يهم النقاء الذي سيصرخ من الصورة ..عنف التباينات لمن ينظر للوحة فيرى فيها صرختكِ ثورتكِ وانفجاركِ"

توقفت عن الرقص وهي تقول مدعية الريبة "انفجاري!! هل ستقوم بتفجيري لتحصل على لوحتك ؟! أنا اعلم أن الفنانين امثالك مجانين"

أخذ جلاء نفساً عميقاً مسيطر قبل ان يخبرها بهدوء "يكفيكِ انطلاق وحركة وفرى بعض من مجهودكِ للعرض ..تعالي اجلسي بجانبي"

جلست آيتان مكانها وسط البرج متربعة القدمين بتشابك ثم غمزت بعينيها وهي تقول: "لا المنظر هنا يعجبني تعال أنت"

اقترب جلاء منها وهبط بجانبها يرتكز على ركبتيه وهو يقول "نحن لسنا مجانين ..الفن والألوان فطرة تولد بداخلنا ..وقد يصدمكِ أن تلك الألوان التي تخرج عبر فرشاتي ما هي الا سطور نفسي ووجهة نظري بالعالم"

رفعتِ وجهها نحوه تسأله "وهل تعتقد أنى سأستطيع قراءتك يوماً؟"

أومأ بهدوء وهو يخبرها "نعم ..إن أردتِ ستستطيعين ..إن حررتِ عقلكِ وتركتِ العنان لقلبكِ ..إن تفهمتِ حاجتي لفني"

شردت قليلاً قبل أن تقول

"أنا اتفهمك ..لأنك الوحيد الذي تفهمت حاجتي لرقص البالية بعد وفاة والديّ ..عندما حاول والداك أن يبعدوني عنه"

تجهم وجه جلاء وهو يعود يمسك بالفرشاةِ الصغيرة ..يكمل رسمه بالألوان الحرة المباشرة ثم قال مقتضبا "نعم فعزيز يريد لكل من تحت سيطرته أن يصبح نسخ مصغره عنه"

رغم عمرها الصغير آن ذاك ولكن عقلها كان ناضجاً بما يكفي لتستشف تلك الهوة السحيقة التي بين جلاء ووالده ..لذا غيرت مجرى الحوار وهي تسأله "أنت قلت أنك تريد أن تصرخ رسمتي بالتباينية ..ما الذي يعنيه هذا ؟؟"

رفع جلاء وجهه بابتسامه رجولية جذابة وتلك اللحية الفرنسية تزيده وسامة فجة عنيفة على قلبها الصغير.

فأخبرها وهو يمد يده يضع شعرها وراء أذنيها ببطء وفرشاته الرفيعة مازالت عالقة بين إصبعيه السبابة والوسطى "التباينات اللونية ..تعنى التضاد والتنازع في الشخصية الواحدة أي إيجاد الشيء وعكسه"

عقدت آيتان حاجبيها وهي تخبره "ولكن أنا لست متباينة كما تدعى"

للحظات طويلة عيناه بشمسها المتوهّج تعلقت في سواد عينيها اللامع بالذكاء والفطنة حجرين كريمين ينتظرانِ فقطٍ من يمنحهما قيمتهما الحقيقة ..قطع الصمت متنازلا أخيرا وهو يقول مؤكدا وجهة نظره "لا ..أنتِ متباينة آيتان ..بنفسجية الشخصية وصفراء الهواء ..وعندما يجتمع اللونان بداخلكِ دون أن يختلطا يحققان توازنكِ الداخلي الذي أستشفه"

عيناها المتوسعتين بانبهار أخبرته حقيقة أنها مأخوذة به ولكنها لم تفهم حقيقة ما الذي يعنيه ..حرك يده وشيء في بشرتها القمحية وملامحها الناعمة الجذابة حد الفتنه يستفز وحشيته فيه ليصرخ بألوانه فوق بشرتها ..مد فرشاته كمغيب يلون جبهتها مرورا بجانب جفنيها حتى وصل لوجنتها وهو يقول بصوت أجش خافت "بنفسجية "تأخذين من قوس قزح عنوانه لتطغي على باقي الألوان بداخلكِ ..امتزاج من ألوان الأحمر

والأزرق ..طاقة الأحمر الروحية الحالمة التي تسيطر على قلبكِ ومشاعركِ نحو فنكِ وأنا...."

قضمت آيتان شفتها السفلى بين أسنانها تحاول كتم انفاسها التي علت تأثرا ربما يرحم قلبها الذي علت دقاته وأصبح يتقافز بصخب بينما فرشاته مستمرة في غزو وجهها يمررها على ذقنها ثم يصل لوجنتها الأخرى قائلا بنبرة أخذت في الخشونة التلقائية

"أنتِ لديكِ قدرة على التناغم بين العقل والعاطفة وبين الفكر ..موهبتكِ أنتِ يا بنفسجية تعنى الحب الخالي من الأنانية، تمنحين دون شرط أو تفكير إن أردتِ ..تبدعين في أي مجال تكونين به"

صمت ونظرة الشغف في عسل عينيه تأخذ منحنى أخر فحاولت أن تقاوم سحره الطاغي الذي اغرقها فيه وقالت بتلعثم "لهذا استخدمت البنفسجي والأصفر في تلويني دون أن تسمح لهم بالاختلاط؟"

أخفض فرشاته بعيداً عنها والتقط بين أصابعه اللون الأصفر وعاد يعبث بوجهها دون قدرة له علىِ التوقف أما هي لم تملك حق الاعتراض وهو يهز رأسه قائلا بنبرة خرجت مختلفة مختنقة حارة

"نعم ..الأصفر هو نوركِ و بهاءكِ ..توهجكِ كشمس ربيعية حاره تسلبين اللب والقلب وتمنحين لمن يشاهدكِ الراحة النفسية الكبيرة والطاقة الروحانية رغم أن كلا اللونين متضادين"

انتهي من تلوين وجهها بالكامل كتلوينه السابق فأخفض فرشاته وأخذ وجهها بين كفيه وهو يقول بنبرة أشبه للتوسل المرير

"اياكِ يوما أن تسمحي باختلاطهم داخلكِ ..حتى لا تجعلي الرمادي يحتل وهجكِ وألوانكِ ..إبقي كما أنتِ آيتان ولا تتغيري ..حتى لو فرض الأسود عليكِ يوما طغيانه"

لم تجد ما تقوله ..كانت تشعر بالانبهار، العجز ،الحيرة و التعاطف ..ربما هي تحبه ،تفهمه وتشعر بوجعه الذي يتسلل باستحياء بين حروفه ..تكره رؤيته منصاع لوالده ..حارما نفسه من بهجته وحريته ..منعزلا عن فرشاته وألوانه ؟!

مدت يدها تمسك بأنامله تتلاعب بخاتم خطبتها في إصبعه واخبرته بوعدها "أعدك طالما أنت بجانبي لن اسمح للجانب المظلم أن يطول حياتي"

أحست بجسدها يرتعش وعيناها تنزلقان من وجهه الوسيم بملامحه الفرنسية ..إلى عضلات ساعديه القويةٍ والتي كانت تتماوج بتناغم مع خَصرها الذي حاوطه متحكما بها ..قبل أن ينحني برأسه نحو شفتيها وهو يقول "اعلم أن ما افعله خطأ ربما ستعنفينني عليه وتغضبين وتثورين ولكن لم أعد استطيع المقاومة آيتان أريد تقبيلكِ الأن وهنا في قلب برج أيفل حتى تبقى الذكرى في عقلكِ ولا تنسيها أبدا"

لم يمنحها الفرصة للهرب أو الاجابة بالرفض أو القبول ..لم تستطع استيعاب معنى قبلة التي نطقها بكل لهفة وشغف العالم ..رأسه انحنى ليكتم شفتيها بفمه ..انتفضت في مقاومة فطرية لغزوه المفاجئ لها ..وأخذت قبضتيها تضربان كتفيه وصدره بخوف وخجل دون أن تتمكن من ابعاده ولو قليلا ..أحاطت ذراعه الحرة يديها وثبتها على صدره وحرك يده لتثبت رأسها من الوراء اخذ وقته تماما باكتشاف شفتيها ..الولوج لروحها ..ربما يومض نورها كاملا داخل روحه وتحتل ألوانها قلبه تكشف له حقيقة انجذابه إليها ..تمنحه الاجابة المرضية والسبب القوي لرضاه بقيدها ..خلال لحظات استكانت بين يديه وأغلقت جفنيها ترتجف مستسلمة لقبلاته الجائعة المتلهفة الرقيقة والوحشية بتملكيه غريبة وكأنه يريد ان يوشمها باسمه ..ويكتبها داخل صدره بخط من نار شمسه.

تركها فجأة متقطع الانفاس وهو يهمس بحرارة "رباااه ..من أنتِ وكيف الطريق حتى انهي تباييني الداخلي نحوكِ ؟!"

.....

الشهقة المكتومة بداخل صدرها خرجت عالية حارة غير مسيطرة بينما هي تعود لِأرض الواقع القاسي ..الواقع الذي فرض نفسه بقسوة جلاء ..قبلتها الوحيدة التي جربتها معه تحت أضواء باريس المتلألئة في الهواء الطلق كانت الأولى لإيقاظ أنوثتها والأخيرة لوأد تباينها المبهج كما وصفه..

"لم يلون حياتي بالرمادي إلا سوادك أنت جلاء ..وكما حطمت بداخلي كل أحلامي ..يجب أن توأد حريتك التي ضحيت بي من أجلها"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

الصدمة كبلت الجميع كلياً وهما يرون المديرة التنفيذية للشركة

وذراع عمها الأيمن وعروس ابنه تخطو نحو مكتبها بأناقتها المعهودة ..تُلقي عليهم الصباح بابتسامة هادئة ..وكأن ما كان بالأمس فقط عشاء عمل دعتٍ الجميع له وليس ليلة زفافها الأسطورية التي حضروها جميعا!!!

فور أن دخلت آيتان مكتبها ..خلعت ذلك القناع جانباً ..وألقت بجسدها الذي لم يذق طعم الراحة في ليلتها المؤرقة الطويلة على كرسي مكتبها الجلدي ..رفعت مرفقيها تضعٍهم على سطح المكتب ودفنت وجهها بين كفيها ..تتذكر صباحا عندما هبطت على درجات السلم تصحب معها ملفات عملها المعتادة وجهاز حاسوبها أجفلها للحظة جنون زوجة عمها الذي تصاعد ..هجومها تارة ومحاولة إقناعها بلين تارة ألا تزيد الفجوة بينهم ..تحشر في رأسها أن ذهابها للعمل صباح الزفاف لن يضر إلا بصورتها هي .. ولكنها تعلم أنه انتقام صغٍير ساذج ..ستترك الخيال للبعض عن سر هرب العروس باكرا من فراش العريس الذي عاد بعد طول غياب وقطيعة ..هنا في مجتمعه الشرقي

العزيز لن تطول الاتهامات الا تقصير العريس الهمام ..عند هذا الخاطر استطاعت أن ترسم ابتسامة صغيرة متشفية على شفتيها...سيكون ممتع اتهام جلاء بالتقصير من تلك الناحية ..كما اشعرها هو بالنقص في أنوثتها!!!

فَتح الباب بعنف ثم إغلاقه أجفلها ..رفعت رأسها سريعا ليصدمها وجه أشهب الذي اعتلته الغيرة والعصبية متضامنين وهو يقول باتهام لاذع "توسمت فيكِ القوة والكرامة والعنفوان لكن صدمتي فيكِ أنكِ هشة ضعيفة ..لأربع سنوات الأميرة المسكينة تنتظر الفارس الهمام الذي لفظها ليلة عقد قرآنهم"

أظلم وجه آيتان للحظات وهي ترى انفعاله الغير مسموح أو مبرر لم تستطع أن تعذر حتى غيرته الحمقاء لأنها ببساطة لم تمحنه يوما إلا كل برود فيها فقالت بهدوء ظاهري بارد

"ومن أنت ..لتسمح لنفسك بتقييمي أو الحكم عليّ؟"

اقترب أشهب نحو المكتب يخبرها بنار مشتعلة تأتى من جحيم حرقته الخاصة "بحق أنى وقفت بجانبكِ لأربع سنوات مضت ..بحق أنى قدمت كل وعودي مطالبا بالزواج "

صمتت للحظات ثم قالت "وأنا اخبرتك برفضي مرراً ..أوضحت لك بكل الطرق أن لا أمل لك أو لغيرك فيّ"

خبط على المكتب بحدة وهو يهتف بها

"لماذا؟ ما الذي يجبركِ آيتان ؟؟لم أتخيلكِ يوماً ضعيفة تهرعين إليه فور أن طالب بكِ بعد كل ما كان"

قالت بصوت مكتوم

"لم اهرع إليه ..جلاء طالبني بإتمام زواجناً المعلق ..وأنا وافقت ما بيني وبينه لا يعنى أحدا ..وحتى احترامي وصداقتي لك ..لا تمنحك الحق لتعلم أو تطالب بشيء أنا ارفض تفسيره"

لم تتراجع عصبيته ووجهه يفقد لونه شيئاً فشيئا حتى قال في النهاية بعدم اتزان "لا اعتقد أن هناك ذلك الرابط القوي الذي تحاولين أن تدعيه ..لقد صمتت منتظرا منكِ أن تردى له الصاع

صاعين ..وترفضين الزواج منه أمام الجميع رد لكرامتكِ ..لا أن تمنحيه بيدكِ صك امتلاككِ"

اغلقت آيتان جفنيها تحاول ان تأخذ نفس عميق مهدئ ..تجبر نفسها على تفهم ما يعانيه ..تؤكد لنفسها أن أشهب يستحق تلك المحاولة بعد خسارته!! ثم ما لبثت أن قالت

"أنا لا أهرب أشهب ..كما انى اخبرتك ما بيني وبينهِ لا يعنيك لأنى لن اقوم بتفسيره أبدا ..أنت لن تتفهم علاقتنا يوما"

صمتت لبرهة قبل أن تفتح عينيها تحدق في وجهه الذي بهتت ألوانه وهي تقول بحذر "أنت لا تحبني أشهب .. وأنا لم أكن لك يوما ..حاول أن تقتنع بتلك الحقيقة وتنظر حولك عن من يستحق اهتمامك"

لم يتراجع عن غضبه وهو يمسح وجهه بكفيه ..ثم ما لبث أن قال بفظاظة "أنا أتوهم! وأنتِ وهوٍ بينكم علاقة أسطورية عادت لتكلل بالزواج ..لهذا لفظكِ خارجا صباح زفافكما؟!"

غضبها الذي تصاعد تراجع سريعاً وكأنها بركان اوشك علي الثوران وسرعان ما انطفئ عندما سمعت الصوت الرجولي الفظ الذي اقتحم مكتبها يتولى هو الرد الساخر قائلا "ربما في وقت أخر كنت قمت بتهشيم وجهك ..ولكن كوني لا أريد اهدار طاقتي سأكتفي بإخبارك أن تطمئن من ناحية لفظها ..لقد سمحت لها فقط ببعض الوقت هنا قبل أن أأسرها لنفسي"

ازدرد ريقه ..قبل أن يمنح آيتان نظره أخيرة بملامح مغلقه ودون كلمة اضافيه توجه ناحية الباب ..نظر له جلاء بعيون غاضبة مشتعلة يخبره

"أنت لا تستحقها بل لا تستحق أن تتواجد في هذا المكان الذي كدت أن تدمره يا جلاء ..ربما هي غفرت ولكن أنا لن أغفر لك يوما تعريض الجميع لخطر الفشل ؟!"

وبدون انتظار الرد كان يخرج مغادراً تكاد قدميه تحفر الأرض من تحته حفر نارية غير مرئيه إلا لقلب صغير يُنسب لثائرة

متمردة أخرى منحته عشق لاٍ يستحقه حتى ..قلبٍ لوعد متمرد بانتقام متوحش سيطوله قريبا ، قريبا جدا "الغبي" أنها تعلم جيدا أنه منجذب لآيتان بحماقه رغمٍ علمه بأن الأخرى وهبت نفسها لعمها والآخر الذي هرب "صبرا يا أشهب وسأسقيك من ناري الخاصة قطرة قطرة ..وإلا لن أكون أنا سديم ..سأوقف شهبك وأطفئ نورك ويخبو بريقك بين ضباب فؤادي المحترق"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

"ما الذي أتى بك هنا؟"

الصمت الحذر عم بينهم للحظات طويلة ..بينما لم يتنازل جلاء عن وقفته الباردة يستند بكتفه على الباب يربع ساعديه على صدره ينظر لها بعينين مازال الغضب مكتوم فيها

عادت آيتان تخبره مستفزه إياه

"أخرج من هنا لدي عمل متراكم وليس لدي وقت لعاطل مثلك"

تحركت من على المكتب باتجاه مكتبة عملية تعلق على الطرف الأخر من الحجرة تسحب منها أحد الملفات وتتشاغل بها قاصده !!؟

مرت لحظات ظنت أنه تجمد مما أصابه ٍقبل انٍ تسمع صوت إغلاق الباب بهدوء ..كادت أن تأخذ نفسا عميقا متعبا عندما أجفلتها ذراعه التي امتدت بغلظة تحاصر خَصرها ووجهه الذي انخفض نحو تجويف عنقها ..انفاسه الساخنة بغضبه المكتوم تلفحٍها عندما قال "لدينا حديث معلق لم ينتهي ولكن سنؤجله قليلاً في الوقت الحالي"

حافظت على أعصابها بانضباط انفعالي وهي تقول بصوت بارد "ماذا تريد؟ اعتقد أنا كنت من الاخلاق أن أخبرك بالفخ الذي أوقعتك فيه بالأمس وانتهينا ..عكس دناءتك أنت معي ومحاولة استغلالي للوصول لأخرى ..وأنت تنوي طلاقي بعد عام دون حتى أن تكلف نفسك وتخبرني"

هل شعرت بتوتر يديه حول خَصرها مع اضطراب أنفاسه متضامنين؟ سمعته يقول متمتما "زواج تم بنائه على خطة منكِ في الاساس"

لم تحاول أن تبعده عنها وهي تستدير بين ذراعه التي لم تتركها ..قبل أن تأخذ نفسا عميقا تخبره بفتور "عمى جاء لي كالعادة عندما يعجز عن حل معضله يخبرني أنك عدت بالتأكيد لتطلب شيء ما ..وهذه المرة هو يريد احكام قبضته عليك."

هزت كتفها بلا مبالة عندما راقبت انفاسه التي تمردت مترافقه مع توحش عينيه ..ثم ما لبثت أن قالت

"وأنا كنت اعلم جيداً بعلاقتك بتلك الصعلوكة الهاربة ابنة رجل الأعمال المشهور عوني المنصوري، فأخبرته أنك بالتأكيد عدت من اجل المطالبة ببعض الأموال لذا لم أتردد بأن اقترح عليه أن يساومك على الزواج منى عبر تلك الحجة الهزلية"

اشتد ضغط اصابعه حول خصرها، أغمضت عيناها للحظةٍ واحده متحمله الألم قبل أن تخبره ببرود "ما فجاءني حقا حماقتك جلاء وسذاجة عقلك الذي تعدى الثلاثون عاما كيف لم تفكر للحظة أن ما أخبرك به والدك حجة سخيفة غير منطقية؟"

يده الاخرى ارتفعت تقبض على ذراعها بقسوة قبل أن يرجعها بحدة نحو المكتبة الأنيقة أطلقت آيتان تأوه مكتوم وخشب الأرفف يصدم جسدها الرقيق بينما بعض الملفات تنهمر حولهم من أثر الارتداد ..ثم قال من بين اسنانه "كيف علمتي عن دجينة ولماذا تريدين الزواج منى علي كل حال وأنتِ تحقدين عليّ هكذا ؟؟"

ردت سريعاً دون مواره أو تفكير "أريد اذلالك ..حرمانك من حريتك المزعومة ، أن تكرهك المرأة التي أتيت مضحيا من أجلها بكل شيء"

باستخفاف ساخر أخبرها "غبية إن اعتقدتِ أنكِ أو عزيز تستطيعون، خطتكِ الغبية مثلكِ ستكون الحبل الذي سألفه حول عنقكِ ..عاد يجز على اسنانه متمتم

"كيف عرفتي عن دجينة ..من اخبركِ عنها؟"

ابتسامة ساخرة مزدرية احتلت فمها الجميل قبل ان تخبره ببرود

"منذ أن طُردت من شقة باريس وأنت تحت عيني جلاء، اعلم عن نومك في الشوارع كالمتشردين عن اضطرارك لبيع بضع من لوحاتك بأبخس ثمن لتجد مال تستطيع اطعام نفسك به ..لعملك المتقطع كنادل في محلات الوجبات السريعة ..حتى ذهبت لمدينة نيس واستطعت أن تجد أستوديو حقير من غرفه واحدة ..ثم وجدت متشردتك الأخرى وقلبك الكبير عطف عليها وراعيتها ..حتى استطاع أخيرا والدها أن يحدد مكانها ويهددها للعودة وزواجها عبر صفقة فقمت أنت بإخفائها عندك ، ووو"

صمتت عن قصد بينما ترى وجهه الذي احمر بالغضب بطريقة مضحكة متشفية ..قبل أن يقول بدون مقدمات وقد التقط ما اوحت به "أنتِ من أخبرته عن مكان هروبها ..أنتِ من منحتي عوني المنصوري هاتفها وخط سيرها؟"

عينيها السوداوين الكبيرتين توسعت بلمعة ذكاء مسيطرة ..فأعطت وجهها البريء المناقض تماما لذلك الجمال الوحشي الذي لمسه فيها قبل أعوام مضت هالة من سحر الانجذاب و الخوف الحذر سمعها تقول بهدوء متهكم "نعم أنا من مررت له الخبر ،وأنا من منعت عنه باقي أخبارها متعمدة ..تعرف طيبة قلبي وتعاطفي نحو الفانين أمثالكم"

أسقط بيده فابتعد عنها خطوات واضعاً يده بين خصلات شعره الكثيفة يكاد يقتلعه من مكمنه ..التف حول نفسه نصف استدارة قبل أن يعود اليها بكليته يسألها: "لماذا كل هذا الحقد ؟!متى تحولتِ لنسخة مطابقة لعزيز يا آيتان؟"

لم تكن تحركت من مكانها الذي ألصقها به وهي تخبره بجمود

"منذ أن رقصت رقصتي الأخيرة على زجاج مكسور أدمي قدمي وحرمني من فني جلاء"

سريعاً أخبرها "وما ذنبي أنا في ترككِ موهبتكِ؟؟"

أجابته: "أنت كل الذنب"

ساد صمت طويل وعيناه معلقه بعينيها باتهام غير متنازل ..قطع جلاء الصمت تطرق برأسه قليلا بتفكير قبل أن يقترب منها مرة أخرى يجذب ذراعها بحدة يطوق خَصرها بذراعه الأخر وهو يقول بنبرة غامضة غاضبة متهكمة "سنرى خطأي هذا فيما بعد ،ولكن طالما اخترتِ أن تطئي مملكتي بقدميكِ لن أسمح لكِ بجعل أخر يتغزل فيكِ يا عروسي"

هنا هدرت بصوت متشدد

"لم يُخلق من يهددني وأنا افعل ما يحلو لي اتركني حالاً"

لم يمتثل لأمرها وهو يتذكر استيقاظه صباحاً على صوت امه الغاضب الحاد تخبره مستنكرة خروج عروسه دون أن يشعر بها وعيناها تتهرب من إدراك الحقيقة التي تعلمها جيدا أنه لم يبت ليلته من الأساس معها كي يشعر بها ..لم يأتي بسبب معاييرهم الاجتماعية التي لا تهمه بل من اجل الغضب المكبوت الذي لم يتخلص منه بعد ..ليجد زوجته هنا تُحاسب من أخر أحمق طامع في وصالها ..عند هذه النقطة تبدد كل شيء ..الماضي والحاضر والتفكير في المستقبل ..اختفت معاييره ولم يتبقى إلا غضب بارد وحنق يتصاعد وغيرة مجنونه ينبعث منها احساس جديد بالتملك!! آيتان ملكه منذ زمن مضى .. له وحده ولن يسمح لمخلوق أن يكتشف ما تذوقه هو غازيا أنوثتها ومقتحما قلبها البريء ..لم يفكر مرتين وهو ينحني برأسه ويده ترتفع تثبت رأسها التي ابتعدت في محاولة للتهرب منه وبدون مقدمات قبلها بتوحش غاضب ساخط مستكشف وخاضع ..قبلة واحدة كتم بها اعتراضها وحاول أن يضع كل غضبه المتناقض مع رقته فيها ..ابتعد أخيرا عنها ينظر للمعة دموع قاسية في عينيها

فرشاة وحشية.. نوربلاك

تأبى الهبوط أو التنازل ..تركها أخيراً مبتعد عنها ليخبرها بزمجرة غاضبة

"صباح مبارك عروسي العتيدة"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

الفصل الثالث:

فرنسا مدينة نيس :

يراقب التفاتها يمينا ويسارا في ذلك الزقاق الضيق قبل أن تدلف الى مبنى قديم من اربعة طوابق ..كأن هذا المبنى لم يُجدد منذ تاريخ فرنسا القديم ..تحرك من موضعه بخطى بطيئة واثقة ودلف من البابِ الخشبي الضيق ..خطى نحو السلم الخشبي الذي يصدر صريرا حادا عبر كل درجة وأخرى شتم آصف بعنف "ما الذي يجبر هؤلاء الحمقى على تلك العيشة الغريبة ؟! اولاد الحسب والنسب يعيشان بين الأزقة والبيوت المتهدمة الفقيرة في شقة حقيرة يكادان لا يجدان حتى ثمن إيجارها!"

بينما خطواته تدب الارض بخفة ورصانة نحو هدفه الذي وعد به ..كان آصف يفكر أن كل ما يعانى منه جلاء وتلك الدجنية ما هي إلا آثار تربية سيئة بغيضة حاول كلا من والديهم فيها فرض سيطرتهم على أبنائهم ..لتكون النتيجة التي يعانى منها كليهما على ما يبدو (الهروب من الواقع التمرد على القوانين ..رفض المفروض حتى وإن ضحوا بأحبابهم ..لقد كانِ آصف يعلم أن جلاء لم يكن بالشاب المستهتر أو الفاشل يوما ..ولكنِ تحول بسبب تعنت والده وتحكمه في كل صغيرة وكبيرة رافضا أن يجعله يأخذ حريته يهمشها بتعنت متحكم في مساره وقرارته ..يحدد شخصيته من خلال فرض أرائه هو الشخصية ..لم يترك له حرية الاختيار بما يناسب قدرته ورغبته، جعل جلاء يتمرد بصلف جارفا في طريقة كل شيء دون أن يبالى حتى طال الضرر ابنة اخته) تيه وتوهان وعبث بالمصير هذا ما فعله عزيز العاشوري بابنه ويبدو أن تلك المنحلة دجينة لا تختلف عنه ..عند هذا الخاطر تصاعد حقد مبهم في خاطِره وهو يدق باب الشقة المهترئ والذي إن ضغط عليه قليلا سيُصبح مجرد ذكرى كانت تحمي تلك المعتوهة"

❖❖❖❖❖❖❖❖

اغرورقت عيناها الخضراوين الحزينتين بالدموع وهي تخبره "أنا خائفة جلاء اشعر أنه أصبح قريب منى ارجوك اسمح لي بالرحيل"

رد جلاء على الطرف الأخر من الهاتف بصوت مكتوم "المال الذي أرسلته لكِ اليوم سيؤمن حاجتكِ في الوقت الحالي ..كما أنى أخبرتكِ أني علمت بالطرف الذي يوصل تحركاتكِ لوالدكِ ..و اطمئنِ أنا أسيطر على الوضع"

حاولت أن تجادله بينما تقول باهتزاز "جلاء ارجوك ...."

قاطعها جلاء قائلاً "دجينة أنتِ ستبقين عندكِ ..إلى أن أتي أنا إليكِ"

بصوت مرتجف سألته "متى ؟!أنت تزوجت بالفعل وأنا لن أسمح لك جلاء بالغدر بأخرى من أجلي"

رمش بعينيه على الطرف الأخر ولم يجد ما يخبرها به إلا ما يعاكس إيمانه الداخلي "أخبرتكِ أنها صفقة من اجل والدي، سرعان ما سأتخلص منها وارجع لإتمام زواجنا"

همست دجينة بخفوت يائس منها ومنه ومن كل الظروف والملابسات حولهم "أنا لا أريد الزواج منك ولا منه ولا من أحد ..أنا أريد إيجاد نفسى فقط ، متى يفهم الجميع؟"

"هه وكأنها تتحدث عنه هو! إيجاد نفسه التي تاهت .. إيجاد التوازن بين ألوانه التي اختلط بوحشية داخله وسيطر عليها الاسود المرفوض المفروض في لوحاته، تمتم جلاء وكأنه لا يجد ما يخبرها به أكثر "عزيزتي أنا يجب أن أغلق الأن سأحدثك لاحقا"

أخفضت الهاتف بجانبها ولم تتمكن حتى من التقاط انفاسها عندما سمعت وجود زائر اقتربت بحذر تسأله بالفرنسية "من؟؟"

أجابها صوت عميق أجش أرسل ذبذبه غريب في أعماقها

"آصف غانم خال جلاء ..أرسلني للاطمئنان عليكِ"

لم تترد مرتين وهي تفتح الباب سريعاً ..لم تفكر للحظة كيف يرسل أحدهم ولم يخبرها منذ لحظات على الهاتف ؟؟وقبل أن تبدي أية ردة فعل انكمشت بغريزية والخوف يتسرب لأوصالها وقد أدركت أنها أخطئت ! اخطئت جدا ولن يعود شيء كما كان.

ابتلعت دجينة تلك الغصة التي تكورت في حلقها وهي تراقبٍ الجسدٍ الرجولي الضخم ، وهو يقف أمام الباب المفتوح، ضخما ،مخيفا، لا مٍشاعر على وجهه ..ولسوء الحظ أن مشاعره لم تكن خالية تماما بل بريق ٍعيناه الذي توهجٍ بتهديد جعلها تحاول غلق الباب بوجهه سريعا فدس قدمه مانعا اغلاقه وبسهوله ويسر كان يزيح الباب ويزيحها معه فتراجعت دجينة خطوات بذعر بينما يدخل هو بخطى واثقه ..عيناه معلقه على الجسد الأنثوي الضئيل الذي يرتعش من رأسه حتى اخمص قدميه بينما يقول بتهكم "غبية ..مهددة وتفتقد الأمان تفتح الباب المهترئ لأول طارق ..هذا يمنحني صورتين عنك"

صمت لبرهة بينما يتابع تقدمه نحوها وهي تتراجع بظهرها للوراء فأردف بصوت اجش خشن: "محدودة تفكير أو..."

صمت عن قَصد بينما اقترب منها لحد خطر وجهه عربي الملامح بوسامة خشنة يطل عليها من علو يشملها كلها بنظرة متفحصه قبل أن يقول باتهام لاذع غير مبالي بارتجافها كقطه صغيرة مذعورة

"أو مجرد انثى غبية اخذت من الغرب سوء أخلاقه ..فأصبحتِ مجرد جسد جميل يستخدمه ابن العاشوري وقتما يريد مقابل أن يؤمن لكِ الهرب من والديكِ"

وبدون مقدمات وقبل أن يسترسل في الحديث أكثر كانت دجينة ترفع كفها الرقيقة رغم ذعرها منه وبدون تفكير مرتين كانتٍ تهبط بها على وجهه بقوة تٍمنحه صفعه جعلته يتجمد ذاهلا للحظات دون قدرة له على أبداء أي رد فعل حقيقي"

أظلمت عيناه بتعبير لم تدركه بينما الغضب الاسود يتصاعد بشعاع متوحش يكاد أن يحرقها ..فهتفت بارتعاش "اخرس واخرج من هنا قبل أن أطلب لك الشرطة يا حقير"

لم يتزحزح خطوة واحدة بينما جذعه يحاصرها بخطورة ..تجعله يستشعر اضطرابها الداخلي وارتعاش اطرافها دون حتى أن يلمسها، لا يعرف حقيقة ما الذي يجعل تلك الحشرة خضراء العينين تثير فيه جزء مبهم متوحش ساخط على حقيقة وضعها الذي يعرفه منذ شهور اثناء مساعدته لابنة أخته في مراقبتهم ، تلك منعدمة الاخلاق التي تشربت من الغرب أخلاقهم ومعايرهم التي لا يقبلها عربي حر بدم فائر، تبث فيه مشاعر سلبيه تدمر كل منطق واتزان داخلي حافظ عليه في سنوات عمره الثلاثة والثلاثون فتحوله الى وحش حقيقي بدون ضمير أو رحمة!!

هز رأسه مدعيا الأسى أخيراً يبدي ردت فعل انسانيه بينما صوته المتهكم يخبرها "وماذا قد تخبريهم، أنكِ فتحتِ الباب لشخص وجعلتيه يدلف إلى سكنكِ برغبتكِ التامة؟"

أشاحت دجينة بوجهها بينما دموع الألمِ تحرق عينيها فأخبرته باهتزاز متحشرج تكرر وهي تدرك جيدا حقيقة ما يقوله "اخرج من هنا قبل أن أفعل لأني لن أتردد بفعلها حقا"

عاد الذعر يتمكن منها عندما مد يده يمسك مرفقها بعنف يقربها منه أحنى رأسه نحوها وجنته تكاد تلامس وجنتها أنفاسه تلفح أذنها وشعرها المستريح على كتفيها في هالة ملائكية غير لائقة لعينيه ..فتثير رعشة رعب في أوصالها ..ثم ما لبث أن قال ببساطة خشنة صريحة

"اسمعي يا أنتِ، أنا عشت في الغربة ما يكفي لمعرفة نوعية امثالكِ من يخفق ذويهم في تعليمهم أخلاقنا، لذا أنا امنحكِ خيارين لا ثالث لهما وإلا ستقابلين جحيم غضبى الذي سيحرقكِ حرقا قبل أن أسلمكِ لوالدكِ الذي يريد رميكِ في صفقة تجارة"

رفعت رأسها لتلتقي عينيها بعينيه الثاقبتين ..فأحس أنه اخترق أضلعها بنظراته ، وكأنه يعري روحها يستغل ضعفها ..يضرب على وتر حساس يعلم كل تفصيله منه ويغزل بقسوة على نغمات رعبها الخاص حاولت تملك نفسها وهي تقول بغضب "أنت لا تخيفني .. ارحل من هنا واتركني وشأني"

ضغط آصف على شفتهِ السفلى بأسنانه بغضب بينما عروق عنقه النافرة تشتد غيظا ..ثم ما لبث أن قال باستفزاز "أمامكِ خيارين يا ابنة عوني ..أن تبتعدي عن جلاء نهائيا مقابل المال الذي تريدينه، لأنى لن اسمح لصعلوكة مثلك بهدم حياة ابنة أختي"

شحب وجه دجينة بسرعة مخيفة حتى خُيل له أنه أصبح لوحة من الرخام البارد، لم يبالي وهو يكمل ببساطة وكأن ما يسألها اياه هو حالة الطقس لا رغبة دنيئة وتفكير عاهر يحتل تفكير هذا الرجل عنها

"أو إن كنتِ تحتاجين لرجلاً حقيقياً عزيزتي أنا متاح تماماً، وسأكون أكثر من مرحب بمنحكِ المال والسكن، والايواء الذي تنشديه، إن استطعتِ بالطبع تقديم خدمة جيدة تُرضيني"

عندما رفعت يدها مرة أخرى كانت دموع الإهانة تطرق عيناها بعنف فلم تره وهو يمنعها سريعا ويخبرها ببرود "ليس كل مرة يا قطة"

صمتت عاجزة عن تحديد شعورها مما سمعت .. المرارة والعجز اللذان ارتسما على وجهها بينما تلك الدموع التي أغرقت وجهها وصوت شهقاتها يعلو بدون تحفظ جعلته يفلتها ويبتعد عنها خطوات ينظر لها متحيرا، هناك شيء خطأ لم يفهمه حقيقة ..شيء أغفل عنه ومنحه حكم مسبق ظالم ..فمن امامه ليست مجرد طفلة كبرت في الغرب وأخذت منهم استهتارهم في منح نفسها.. بل هو أمام خيارين لا ثالث لهما تلك الدجنية تحب جلاء بصدق وزواجه واخلاله بوعده يجعلها تعانى، أو أنها بريئة حقا وضلت طريقها الحقيقي وأثارت حول نفسها الشبهات بسبب أب جعلها تهرب من الواقع محاولة أن تفشل بتعنت لتثبت لوالدها

وجهة نظر ما ربما يأس من محاولة تحقيق ما يريده ..عقد آصف حاجبيه متفاجئا للحظات، هل هو أمام نسخة أخرى تعاني مثل جلاء ؟!!

لم تطل حيرته في الوصول إلى اجابته المنشودة عندما اتاه الصوت المتألم يخبره "أخرج من هنا ارجوك ..وطمئن إبنة أختك أن جلاء لا يعنيني أبدا بتلك الطريقة ..ولم أكن أبدا لأقدم على الزواج منه ، جلاء كان لي منقذا وشهم شهامة حقير مثلك لن يفهم معناها"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ها قد مر أسبوعين أخرين في حربهم الطاحنة ..بغير تنازل منها ،تتعمد إهانته ،انتقام يعقبه انتقام متخفي لا تتورع أن تظهر للجميع أن لا علاقة تُذكر بينهم ، ولم تتوقف للحظة عن الذهاب للعمل يوميا!!

لا يعلم جلاء سر العصبية التي أصبحت تتلبسه!! ذلك الفضول الذي يؤرقه عندما يرى آيتان تسهر طوال الليل لوضع ميزانية أو خطة للعمل ..فيجد نفسه مرغما ينظر للأوراق بفضول متذكرا دراسته القديمة وعمله مع والده الذي حقق فيه نجاحا مقبولا ولكنه لم يكن كافيا لإرضاء عزيز ..لا شيء على وجه الإطلاق كان يكفيه، لذا كانت أخر ليلة بينه وبين آيتان في فرنسا عندما عادا الى المنزل ووجدا هناك والده الذي فرض سيطرته وحاول كسر هامته أمامها فاكتشف أن لا شيء أبدا يستحق أن يجبره على البقاء والاستمرار بقيده إذا كان بالفعل متهما بالفشل ، لذا قرر أن يثبت لعزيز أنه محق وبأصعب الطرق والتي راحت ضحيتها آيتان دون أن يعلم!!

"رباه ماذا اقترفت يداي؟؟"

ابتلع جلاء ريقه الذي جف وهو يغلق حاسوبه بعد أن اكتشف الكارثة التي حدثت قبل أربعة أعوام ..الأن فقط استطاع أن يفهم

لما آيتان لا تتورع في اتهامه أنه السبب في فقدها أهم أحلامها بموهبتها وشغفها ..هو السبب حقا هو السبب!! إذا لقد رحلت إلى عالم أخر لحظة خسارة البطلة كل شيء ..كل عالمها بسببه!!!!

دفعت آيتان الباب ببطء بسبب الملفات الثقيلة التي تحملها ..تحركت للداخل بهدوء عكس الجلبة التي افتعلتها بعض الملفات التي وقعت على الأرض، وضعت ما بين يديها بتعب على المكتب الصغير المجاور لطاولة الزينة ثم شرعت في خلع معطفها المتزمت، واستدارت نحو الفراش ، فجفلت للحظة وارتد رأسها للخلف عندما رأت "ماتيس" مدرسته الوحشية جالسا في النور الخافت الذي يصدر من الأباجورة المجاورة للفراش مسندا رأسه على مرفقيه وقد ارتكز مرفقاه على ركبتيه ..عبثت وهي تقول بجمود اعتادت عليه أذنيه: "ما الذي تفعله في غرفتي؟؟"

"أحاول البحث عن آيتان القديمة، آيتان التي وعدتني بين أضواء برج ايفل ألا تسمح للون الرمادي أن يحتل روحها أبدا"

سارت بهدوء إلى أن وقفت أمامه عقدت يديها على صدرها بينما تقول ببرود غير متنازل أبدا لنبرة المرارة التي استشعرتها فيه

"أخرج من غرفتي حالاً يا جلاء، وابحث عن تلك المراهقة الساذجة في مكان أخر"

اهتزت عيناه وهما تنظران إليها باضطراب نادر، بسبب ذلك المشهد الدرامي الدامي الذي شاهده مرارا على الشبكة العنكبوتية وهي تسقط بقسوة و....

ابتلع جلاء ريقه بينما عيناه تهبط تتفحص قدميها العاريتين وساقيها الانسيابيتين الطويلتين ..الأن فقط لاحظ أنها دائما ما تستخدم الجوارب النسائية الداكنة لمدارتهم عكس الماضي عندما كانت تتفاخر بقدرتها على التحرك طوال الوقت مرتكزه على أصابعها.

"لماذا لم تخبريني؟ طالما كنت تراقبيني لتعلمي بتحركاتي لما لم تأتي لأخذ حقك مني؟"

أحاطت آيتان نفسها بذراعيها بينما تتراجع للوراء خطوات تٍردد بعزيمة تناقض صوتها الذي خرج مرتعشا "اخرج من هنا حالا"

دون أن تراه نهض من مكانه واقترب منها ..شهقت عندما أمسك بمعصمها فجأة، رجفه خفيفة تخللت صوته وهو يقول

"لقد توقفتِ عن ممارستكِ شغفكِ وموهبتكِ بسببي وليس استسلاما لرغبة عزيز"

كان إقرار أكثر منه جواب تجمدت بين يديه لم تجد ما تقوله أو تفعله كل المنطق هرب منها كل ما جهزته من قسوة بكلمات وفعل تاه دون قدرة لها على إيجاده"

بحركة واحدة أدراها لتصبح فوق الفراش وأجلسها في مكانه السابق بينما ينحني على ركبتيه أمامها ..قاومته وهي ترتعد بخوف مبهم تريد التهرب، ترفض أن يضع يده على علتها على مصدر ضعفها

"ما. ماذا تفعل ؟!

قال بصوت هادئ تخلله شيء من الحزم: "أهدأي، كل ما هناك أني احاول رؤية أبعاد جريمتي!!"

اقشعر بدنها عندما أحستٍ بأصابعه تمر فوق جواربها لتنزعه عن ساقها اليمين، ألقاه جانبا وبنفس الهدوء عاد يتفحص الجرح الطويل الذي بدأ أسفل ركبتها بخمسه سنتيمتر وامتد طوله على ساقها ليصنع ندبة طويلة قدرها جلاء بعشرة سم.

لامست أنامله بشرتها برقة عدة مرات كأنه يريد أن يكتشف شيء أو يصل لشيء مبهم لا تعرف ماهيته، بينما هي تشعر بدفء يده التي تتحرك من الأعلى الى الأسفل كأنها تداعبها، أغمضت آيتان جفنيها متذكرة رحلة العذاب التي عاشتها لعام ونصف كاملة ما بين العلاج الطبي وعرٍجها الملحوظ والذي اختفت أثاره الأن، قطع جلاء الصمت قائلا بخشونة "هل تؤلمكِ، هذا ما منعكِ عن شغفكِ؟!!"

همست بتهكم "مجرد السؤال يُعد أضحوكة غبية يا جلاء، ما الذي تريد أن تسمعه؟ لا .. لا تؤلمني، ونعم تخترق روحي وتفرض عليّ قيدا لم يكن أبدا في قاموسي!! أما أنها ما منعني فلاا بل أنت وحدك السبب!!"

توقفت يده عن الحركة إلا أنها ظلت تلتف حول ندبتها للحظات طويلة صامتة تخللها صوت أنفاسه الثقيلة وصدى خفقات قلبه المحمل بتأنيب الضمير همس: "كرهتني؟"

فتحت عيناها تحدق فيه قبل أن تقول بتلقائية "كما لم أكره أحدا من قبل"

قال بجفاء "لكني لم أكرهكِ لحظة"

ردت ببرود "وكأن هذا سيغير شيئاً"

أصابعه تحركت بصعود متسللة الى أن وصلت خَصرها وقف مرتكزا على ركبتيه وقال بنبرة أجشه

"ما بين الكره والعشق شعرة آيتان تتوه معانيكِ فيها ..تخفق كل معادلاتكِ ويهرب منطقكِ فلا تعودي تملكين القوة لتحددي في أي مفترق طرق ستتوجه خطواتكِ"

تمتمت ببرود "أربعة سنوات من تشردك ..من سحب كل مصادر دعمك وغلق الأبواب والطرق في وجهك ..من تحولك من ابن الحسب والنسب لمجرد صعلوك متشرد جائع في شوارع فرنسا، أعتقد انه أكثر من كافٍ ليثبت لك أن تلك الشعرة قطعت تماما وحددت طريقي وخرجت من ذلك المفترق"

ارتكز جلاء على مرفقيه وهو ينتصب بخفه يقف على ساقيه وسرعان ما كان ينحني ليرفع ذقنها بأطراف أنامله مشرفا على وجهها من علو وقال بصوت قاطع "كاذبة"

ارتجفت بينما انحنى أكثر بجسده ليحتويها كلها تحاوطها أنفاسه ..تتخلل أنفاسها فتمتزج بوتيرة متصارعة لم يستطع أحدهم أن يتجنب تلك الرسالة المنبعثة منها بنار تتأجج تلقائيا بينهم بينما جلاء يردف مرددا

"حبكِ وكرهكِ لي وجهان لعملة واحدة، فهي نفس المشاعر الجياشة في الحب تلك التي تأتى من وراء الشغف، تلك التي دفعتكِ لفعل المستحيل وأسري أخيرا، لمنحي قلبكِ وعذرية شفتاكِ بعد أن ضربت بفرشاتي روحكِ كما وجهكِ، أنها نفسها التي تحولت لشعور باهت سرعان ما تفاقم بالغضب وتصاعد ليتحول للكره لأنكِ عجزتِ عن نسياني، أنتِ تحبينني آيتان وإلا ما كنتِ وافقتي أن تربطي نفسكِ بي مرة أخرى بذلك الزواج"

تمتمت بصوت مرتجف

"أنت غدرت بي، دمرت حلمي وحطمت قلبي، عانيت بسببك وما زلت، حتى جسدي لم يُرحم من أثار فعلتك ..أنت لا تعلم مدى المعاناة التي عشتها عبر ذلك الكسر المضاعف الذي حدث لي ..أنت ..."

شهقات آيتان بصوت ذاهل مرتعش، و يده كما صدره يجتاحان جسدها البض يضمها إليه كأن قوة خفية تجبره لفعل هذا دون قدرة له على التوقف أو التفكير، أدار وجهها نحوه ونظر الى عينيها الذاهلتين المتوسعتين، فصفعها الندم فيها، المرارة، و التوهان والتخبط الذي يعانيه، رفع يده التي كانت قد تسللت تحت قميصها الحريري تلامس ظهرها ليحيط بها وجنتها وكأنه يحاول استجداء شيء من العاطفة منها كالتفهم والمواساة ..يناجيها ألا تكون هي الأخرى عليه ..ألا تُحمل عاتقه ذنب هو ليس أهلا لحمله، وسط طريقهِ الذي لم يحدده بعد!! هل هو أحمق؟ أنها فرصة لا تعوض أبدا لتنتقم منه وتسخر من مشاعره ..تستخف من توهانه وتحطم كبريائه، توجه له صفعه أخرى تحطم فيها ما تبقى منه.

ولكنها لم تستطع بل عينيها الداكنة كانت تنظر له بتوسع وهو يقول:

"لم أكن أعلم بكل هذا ..عندما اختفيت كنت من الجبن أن أستطلع أخبارك أنتِ بالذات، أول خبر سمعته عنكِ كان منذ

عامين فقط عندما رأيت صدفة صوراً لحفل أحد شركات العطور يعلوها اسم مسوقهم الجديد ولصدمتي كنتِ أنتِ"

راقبت أنفاسه تتجاوز شفتيه بعنف وعينيه غشتها عاطفة من مشاعر مبهمة ..كلاهما صمتا واكتفيا من العتاب و الاعتراف في هذه اللحظة بينما مال نحو شفتيها وهو يقول

"لم تنتهي حربي معكِ ولن أنسى لكِ فخكِ ولن أنسى صفعاتكِ ولكني لن أسمح لكِ بكراهيتي رغم كل ما حدث بتلك السهولة آيتان"

تمتمت آيتان بصوت متهدج بينما كفيها تلامس عضلات صدره من تحت قميصه المفتوح "لا متعة في انتصار يأتي من رجل تائه مثلك، إنسان يهرب من مسؤولياته، بل أريد أن تصحو روحك القديمة على يدي قبل أن أجعلها تغفو وتندثر مرة أخرى."

يداه كانت ترتكز على وجنتها واليد الأخرى تتسلل بهدوء على ظهرها حتى أمسك برأسها من الخلف بينما شفتيه لثمت شفتيها برقة وحرص وتمهل، لم تكن كتلك القبلة الغاضبة والمنتقمة التي اجتاحها بها في مقر الشركة بل شيء أخر حنون رقيقة من رجل يعرف تماما كيف يسيطر على امرأة تجابهه ..للحظات طويلة كانت آيتان مصدومة كليا من تلك المشاعر التي تجتاح أعماقها و تشل حركتها فقط أغمضت عينيها واستسلمت بينما شعرت بقلبه يدوي كطبول عنيفة وقوية تحت كفيها ، توقف عن لثم شفتيها بقبل حذرة متفرقة عندما شعر بها ترتعد خوفا وذعرا من استسلامها وبحركة سريعة أجفلتها كان يمددها على الفراش ويرقد فوقها جسدا وروحا!!بينما شفتيه تجتاحان شفتيها بعنف ولهفة .. بحاجة ضارية قلبت أحشائها رأسا على عقب، شعرت بنفسها تضيع وبكل حصونها تُدك وبراياتها تسلم له بسهولة، حاولت التمرد بينما تشعر بيده العنيفة تجذب قميصها بقلة صبر يحاول تمزيقه ..كانت على حافة الضياع كليا بينما تحاول أن تجد أي شيء أو ذكرى أليمة لتمتلك القوة لتنفر بعيدا عنه فلم تجد ما تتمسك به، عندما أفلتها أخيرا سامحا لها بالتقاط أنفاسها

شعرت بعينيه تراقب كل خلجة منها ، عاد سريعاً بثقل جسده يغطيها ومن بين عينيه كانت قوتها أخيرا لتتذكر عينين أخرى تناديها من تحت المنصة فوق مسرح رقصتها الأخيرة ..تلك العينين التي كانت تسخر منها تصفع روحها بالوجع لتجعلها تخطئ خطواتها وتُلقي بنفسها من فوقها لتصبح مجرد ذكرى لأوبرا حزينة!!!!!

شتم جلاء بعنف بينما يطلق صرخة عنيفة وهو ينتفض بعيداً عنها مذهول العينين و متقطع الانفاس ..كان محمر الوجه لم تعرف تحديدا من كبته العاطفي أم بسبب ذلك المشرط الصغير الذي انغرس في باطن ركبته ؟! تمتم بصدمة بينما ينظر لسلسلة مفاتيح في يدها معلق بها على ما يبدو فاتح أوراق ولكنه يشبه مشرط صغير حاد تغطيه دمائه فصرخ

"أنتِ مجنونة مختلة عقلياً، الإصابة بالتأكيد طالت رأسكِ"

قفزت آيتان عن الفراش لتخبره بأنفاس خرجت متقطعة مازالت تعاني اضطرابها الخاص إصر تلك العاطفة التي فرضها عليها لوقت لم تدركه وقالت "نعم نعم أنا مضطربة مجنونه قل ما تشاء والأن أخرج من هنا"

تراجع جلاء عن الفراش بظهره وحاول يائساً أن يعدل ملابسه وقال لنفسه "تبا ..تبا ، لم أقصد أبدا ما وصل اليه الأمر بيننا بل كنت أحتاج للحديث فقط "ولكنها تؤثر فيه بشكل سيء، عندما يقترب منها فقط تمنحه شعورا ما لم يجربه أبدا مع امرأة سواها ..عاطفة من نوع أخر تتلاعب بتلابيب عقله رغم براءتها ..لم ينطق بكلمة بينما يفرك وجهه بعصبيه ..ابتلع ريقه الذي جف وعيناه مرغما تلتهم تفاصيل جسدها المكشوف بفعل يديه ..ربما حمام بارد أو حمام من الثلج سيكون هو الحل الأمثل ليرحم فوران دمه، ويطهر ذلك الجرح الغبي بالطبع

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

لم يكلف عزيز نفسه حتى مجاملة رقيقة أو طلب بلطف وهو يرمي بكلامه في وجه ابنه

"أريدك أن تذهب معها لاجتماع عمل في شرم الشيخ مع الشركة الانجليزية"

قال جلاء بصوت جاف

"وما الداعي للسفر؟ لما لا يتم عقد هذا الاجتماع هنا؟"

رد عزيز بعدم اهتمام

"هذا ليس اجتماع بالضبط إنه عقد توكيل حصري نسعى إليه منذ فترة، وأشهب المدير التنفيذي للشركة اقترح أن نستضيفهم في شرم الشيخ كنوع من اللباقة وأسباب كثيرة لن يفهمها من مثلك"

امتقع وجه جلاء من الاتهام المعتاد والتلميح بفشله فقال بجمود "بما أني لن أفهم الأمر فما الداعي لذهابي؟! اجعل شبيهتك تذهب وحدها"

لم يكن عزيز العاشوري بالرجل السهل يوماً وإلا ما كان عافر وحفر في الصخر ليحافظ على مال والده وأخيه الراحلين بل وينميه لتصبح شركتهم من أهم وأشهر توكيلات العطور ومواد التجميل في مصر لأكبر الشركات الأجنبية لذا قال بهدوء

"حسناً لا مشكلة، أشهب سيذهب معها كما هو معتاد"

وقف عزيز أمام نافذة مكتبه مانحاً جلاء ظهره لينظر للحديقة الواسعة امامه وبعين الخيال رأى طفله و وحيده عندما كانت تملئ ضحكاته أرجاء الحديقة، يتعلق بألوانه فيرسم على الجدران و الاوراق وحتى السيارات بصخب غير مفسر رسوماته، وسرعان ما انطفئ كل شيء وأصبح منزويا جامدا منغلق حول نفسه ودائما شارد ..لا يعرف حقيقة الخلل الذي حدث أم ربما يعلم جيدا ما حدث حقيقة ..ربما تدخله هو الحاسم الحاد ليصنع منه رجل حقيقي ! لم يحاول كسره أو التحكم في حياته كما

يعتقد ابنه بل كل ما أراده أن يصنع منه رجلاً حقيقياً ينتبه لعمله، يأخذ الحمل عن عاتقه ليكمل مسيرته هو وأجداده!!أغمض عزيز عينيه وأخذ نفسا عميقا عندما سمع صوت ابنه يأتي خافتا شرسا بغضب غريب غير مسيطر

"لن أسمح لها بذلك بعد أن رأيت ذلك الأحمق يحاول ان يتقرب لها، آيتان ستلتزم بما أطلبه منها طالما هي في عصمتي"

لم يلتفت له عزيز وحديث النفس مستمر بمصارحة يرفضها داخليا "هل أخفق مع جلاء؟ هل استخفافه بتلك الألوان الغبية هو ما دفع ولده للهروب بعيدا عنه؟ أم كما اتهمه زوجته في الماضي أن جلاء كره القيود وفرض كل صغيرة وكبيرة على حياته، وآيتان لم تكن إلا القشة التي قصمت ظهر البعير كما يقولون؟ ولكنه رأى بعينيه التقارب الذي حدث بينهم ورفضه هو لذلك التقارب ..ومحاولته أن يمنع جلاء من الاختلاء بها قبل الزواج لم يكن إلا حرصا على ابنة أخيه وخوفا عليها"

تنازل أخيراً ومنح جلاء الرد وقال صارماً "ذراعي الأيمن ليست ملكا لأحد، أنا لم أخبرك بالسفر معها إلا لتحسين صورتك التي انهارت .. فعروسك تذهب يوميا للعمل وكأن شيئا لم يكن"

كان جو المكتب قد تحول الى جو مشحون متوتر وجلاء ينظر لظهر والده نظرات حجرية غير متنازلة عندما قال بحقد موجه لذلك الرجل "مظهرك إذا هو ما يهم، وليس خوفك على ذراعك الأيمن التي ترفض التحكم فيها، ولكن أنا لا مشكلة من وضع الخطط حولي لإيقاعي بهذا الزواج، بل وتماديك وتطرفك لوضع ملايين كمؤخر صداق لابنة أخيك، وأنت تعلم جيدا أنى لا أملك حتى ما يمكنني إطعام نفسي"

زادت نبرات جلاء حدة صارخاً ومشاعره تموج في صدره بغضب أعمى بينما يخبط على ظهر المكتب بحنق "أخبرني اي علاقة حقيقية تربطني بك وأنت تفرض قيودك حولي لتتحكم في حياتي وأخيرا تعرضني للسجن من أجل ماذا لا شيء"

التفت له عزيز بوجه محمر من الغضب وهو يقول بحده

"أنت أتيت إلى هنا مخاطراً ومستعداً لفعل أي شيء لتعقد صفقتك، كوني تواطأت معها في لعبة أم لا أنت كنت على استعداد لاستغلالها مرة أخرى حتى تصل لأهدافك"

ضيق عينيه وعقد حاجبيه بينما أنفاسه تخرج عنيفة غاضبه، وكأنه يزن الكلمات في رأسه وكأنها تجد عنده صدى حقيقي كما ليلة زفافه ظل يفكر فيه ويلوم نفسه عليه ..هو من جاء إلى هنا مخاطرا ..هو من استغل آيتان في البداية من أجل تأمين دجينة ،فلما يلوم عليها أنها ورطته بخديعة "رباااه هل آيتان الضحية الوحيدة هنا للجميع رغم تطرف تصرفاتها ؟!!رفع جلاء رأسه ونظر لعيني والده بقتامة قبل أن يقول بحقد مكتوم "هذه المرة آيتان ضحيتك يا عزيز ..اعلم جيدا أن خطتها الغبية لاقت صدى في نفسك لتحكم سيطرتك علىّ"

لم يستطع جلاء البقاء معه أكثر بينما يستدير مغادراً، ثم توقف وهو يقول بجمود محترق يذكره "في الماضي أنا أردت آيتان ..رغبتها بشدة ،لمست شيء في نفسي متحجر مشاعر مثلك لن يفهمه .. ولم أتركها وأغادر إلا بسببك وحدك، أنت من دفعتني للغدر بها لضربي لك فيها، هل تتذكر يوم اهانتك لي في فرنسا أمامها معلنا بكل جبروت أنك مالك امر الجميع وأنك المتحكم فينا ..أن كل شيء يجب أن يكون تحت قبضتك، وهي خضعت لك وطاوعتك بينما لم تفكر حتى أن تلقي نظرة واحدة عليّ بعد أن..."

صمت جلاء قبل أن يأخذ نفساً عميقاً مكتفياً بما أخبره اياه ثم خرج صافقاً الباب خلفه بقوة . . .

بينما نظرات عزيز الجليدية لم تهتز لحظة واحده "أطفال اغبياء لم ولن يعرفوا مصلحتهم يوما، هو اراد لهم الافضل فقط وكونهم تحت إمرته لم يكن بكل هذا الضرر الذي يصوره ابنه الثائر"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

وقف جلاء منذ ساعة أو أكثر يراقب امرأته، التي تخوض صفقتها ..هادئة رزينة ..متمكنة ،بنبرة حديدة واثقه من كل خطوة تقدم عليها وكل عرض تناور عليه بنجاح، للحقيقة لم يجد ما يزيد عليها فيه ،فبرغم مرور أربعة أعوام عن ابتعاده عن مجال الأعمال ولكنه بالتأكيد مازال يملك حنكة رجل أعمال صغير في مقتبل العمر ..برغم إنكار والده لمهاراته ومطالبته بالأفضل أو حتى اتهامه بالفشل ..لكنه كان من الثقة في نفسه أن يعلم أنه كان يمشى على طريق النجاح تماما ..نفض جلاء افكاره جانبا بينما عبس وهو يراقب آيتان التي ترتدي فستان صيفي من اللون البنفسجي القاتم يتعدى ركبتها بصعوبة، يضيق عند صدرها وينزل بانسيابية على خَصرها المياس ثم يأخذ طريقه في التوسع حول وركيها لتداعبه نسمات الهواء، أغمض جلاء عيناه بقوة، لم يلتفت لملابس امرأة من قبل لم يهتم بما يظهر منها إذا لما كل شيء معها هي مختلف؟!

جلست آيتان بجانبه تخرجه من شروده وصوتها يخرج منتصراً خافتاً بينما ترفع كوب عصير وهي تقول "لقد حصلت عليها، أخيرا من هؤلاء الإنجليز باردي المشاعر"

رفع جلاء كوبه مجاملاً بينما يخبرها متصنعاً المزاح "وأنا هنا يجب أن أصفق بصفتي زوج الهانم الذي أتى ليحمل لها حقيبة الملفات؟"

رفعت آيتان حاجباً مترفعاً بينما تمنحه نظرة جانبية وقالت ببرود

"جيد أنك تعلم مكانتك من تلقاء نفسك عزيزي"

جز على أسنانه بينما يخبرها بصوت حاد آمر "راقبي كلامكِ آيتان وإلا سأريكِ رد فعل غير متحضر اطلاقا"

هزت كتفيها ببرود وهي تقول" فلتمتطي أعلى جيادك، هذا إن كنت تملك حتى ثمن حمار "

ضافت عينا جلاء وأرسل لها إشارة محذرة ألا تتمادى في تطاولها كي لا تُخرج مارد غضبه الحقيقي، بينما انتبه إلى بعض العيون

التي أصبحت عليهما ،اتسعت ابتسامتها المتشفية بينما تعود بكامل انتباهها لذلك الوفد، أشاح جلاء بوجهه ينظر لبهو الفندق الواسع مِن خلفه ويعود بنظراته نحو موج البحر الأحمر بزرقته الصافية بينما يأخذ نفساً عميقاً من الهواء العليل المتناغم مع تلك الطبيعة الخلابة وعيناه تشرد للبعيد بينما يتذكر أخر مرة كان فيها هنا قبل سنوات ..كان هاربا لمدة أسبوع في معتزل قام باستئجاره من ماله الخاص، مكان لن يخطر على بال أحد ولا يعرف عنه شيء في قلب "جبل سانت كاترين السياحي "وخلف دير سانت كاترين الذي يُعد أقدم دير في العالم والمنسوب للشهيدة سانت كاترين ..إنه من أهم المعالم السياحية التي ميزت تلك المنطقة وجعلت منها مزارا عالميا ، ويرجع تاريخ بنائه إلى القرن السادس الميلادي على يد الإمبراطور البيزنطي جستنيان ، وكان أمر البناء قد صدر في عهد الإمبراطور قسطنطين عندما أمرت والدته الإمبراطورة هيلانة - التي اعتنقت المسيحية - ببنائه ليحوي رفات القديسة كاترين.

الجميل في الأمر ان ذلك الدير يوجد به مسجد صغير بُني في العصر الفاطمي ..لا يوجد ذلك التمازج إلا في أرض الكنانة.

عاد جلاء بعينيه لتلك الوقحة اللاهية عنه بينما يتوعد بداخله ..سيريها من المنتصر ومن لا يملك تلك الشجاعة!!!

الجيد في هذه الطبيعة الساحرة التي حبى الله بها مصر، أنه يمكن ان تخفي آثارك بسهولة عندما تريد وهذا ما يفعله بينما يحمل تلك الحمقاء بين ذراعيه، بعد يومين قضاهم في بحث عن حجرة جيدة مجهزة بسبل الراحة من فراش، وبار صغير يمكنهم تجهيز بعض الأطعمة البسيطة بينما لم ينسى ان يملئه بالأطعمة ..استطاع ان يقر بأسى داخلي أن آيتان ثقيلة الوزن بينما يصعد بها طرق الجبل الوعرة حتى يصل للوادي الضيق المنبسط بعد أن تجاوز الدير الديني الشهير ..أخرجه من أفكاره رجلا بدويا بشوش الملامح ليخبره

"ها قد وصلنا يا شيخ هل تريد خدمة اخرى مني؟"

وضع الرجل الحقيبة التي بين يديه بهدوء على الأرض بينما اخرج جلاء مفتاحه وانزل آيتان يسندها على جزعه ثم فتح الباب الخشبي المزركش برسومات مصرية فرعونية وهو يقول

"لا ..إن اردت شيء بالتأكيد سأخبر إدارة المكان"

ضيق الرجل عيناه بريبة قليلاً بسبب تلك المرأة التي مازالت تغط في نوم عميق غير مفسر ربما لو لم يرها معه في قلب الفندق الذي أجر منه جلاء ذلك المعتزل لكان شك في الأمر، ولكنه يعلم انها زوجته"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

فتحت آيتان عيناها بثقل بينما نور شعاع الشمس الساطع يحرق جفنيها، اعتدلت ببطء تضع يديها على وجهها بتعب وصداع مريع يمسك أعلى جبهتها ما الذي حدث تحديدا؟ لا تتذكر أي شيء الا أنها قبلت دعوة جلاء لتناول كوب برتقال طلبه من إدارة الفندق بينما هي كانت تسبح قليلا قبل موعد سفرهم ،حركت جسدها تنزل عن الفراش بهدوء بينما تبعد كفيها عن عينيها تدريجيا الصورة المشوشة للمكان جعلتها تثبت مكانها بينما تفتح وتغمض عينيها عدة مرات لتستطلع حقيقة ذلك المكان ،بالتأكيد هي مازالت تحلم فغرت فاهها بذهول وجحظت عيناها بعدم تصديق بينما تنظر لحجرة تبدو كمغارة في حضن جبل ما ..تحيط بها الحجارة المصقولة من كل مكان، السقف مغطى بطبقه خشبية بلون البني المحترق، طاولة صغيرة للطعام تجاور بار صغير و فراش واسع حريري مغطى بملائه من ألوان البنفسج والأصفر زمجرت آيتان بوحشية جنونية بينما تصرخ بانفلات "جلاء أيها الندل عديم الضمير"

سمعت صوته يأتي هادئاً مغيظاً مستفزاً "صباحكِ مبارك حبيبتي، أنا هنا لا داعي لإطلاق فمكِ الملوث بعباراته"

قفزت آيتان من الفراش بينما تستدير اليه مسرعة كطلقة رصاصة تهدف لقتله مباشرة فتح جلاء ذراعيه يتلقى جنونها وكأنه كان مستعد تماما لرد فعلها استطاع أن يحافظ على توازنه وأثر اندفاعها لم يزحزحه إلا قليلا ليصبح ظهره ملتصق بالحائط خلفه بينما يخبرها بذات الهدوء المغيظ "لا داعي لجنونك، لا أحد يعلم كيف نخرج من هذا المكان إلا أنا، لقد اخترته بمنعزل عن منطقة رحلات السفاري والسياحة المعتادة"

كانت آيتان تمسك بتلابيب قميصه بالفعل بينما تهتف فيه بقوة أمره وعيناها تطلق شررها المعتاد "لماذا أتيت بي إلى هنا؟ أعدني حالا هذا أفضل لك صدقني"

كان قد سبق السيف العزل واكتفى منها بالفعل ..إن أرادت انتقاما لا يعرف تحديدا ما الذي تهدف له إذا فليكن على طريقته هو لا هي!! وفي لحظه ما سيطر على جسدها فأدارها بحدة مسيطرة لتصبح هي الملتصقة بالحائط بينما هو يشرف عليها وعيناه بعسلها المحترق تطلق تهديدها المتوعد وتحديها بينما شعره المشعث يمنحه هالة لفنان متوحش مجنون بينما يخبرها من بين انفاسه العنيفة "لماذا!!لتعلمي حدودكِ ومن ذلك الذي لا يملك الشجاعة لتأديبكِ، أما أن أعيدكِ!!فأنتِ تحلمين آيتان"

هتفت آيتان بقوة دون أن يجفلها مظهره أو قوته البدنية التي يفرضها عليها بغير عدل ولم تلجم لسانها وهي تخبره "أريد الطلاق جلاء ..دعنا ننتهي من تلك اللعبة أنا سئمت من غبائك"

صرخ جلاء فيها دون سيطرة "الطلاق ؟!! من تعتقدين نفسكِ بحق الله؟ لماذا دبرتي تلك اللعبة الغبية من الأساس؟! لما تزوجتني آيتان بدلا أن تمحيني من ذاكرتكِ تماما؟!"

انطفئت كل نيرانها في الحال و شحب وجهها حتى تحول للوح من الرخام الأبيض ..تشوشت عيناها تماما بينما تحاول ابتلاع ريقها الذي جف ..السؤال جاء باكرا جدا جدا ..سؤال كانت تتهرب من إجابته حتى لنفسها، فكيف تمنحه سر شقائها ؟؟

أجفلته تلك المشاعر العنيفة المتعاقبة في عينيها السوداوين فجعلته يتراجع غريزيا ..بينما قرأ من بين سطور عينيها خاطر مزعج مؤلم صدمه ..إنه هو من لا يريد أن يسمعها تقر به

"رباااه هي لم تكن تنتقم من شيء بل تحاول اعادة كرامتها المهدرة"

خرج صوتها مهتز لأول مرة وهي تقول "ابتعد عنى، لقد اخبرتك أسبابي من قبل ولا أملك المزيد منها"

"الاحساس بالرفض بالعجز وأنك لم تستحق بعض من المحاولة والتضحية تجعل الحقد والجنون يتلبسك والغضب يتخلل دماءك ويجعل المنطق يتلاشى يلغى العقل ويترك العنان للفعل"

"وهذا ما فعلته آيتان تحديداً عندما رتبت مع والده حجتها ليتزوجها وعندما وضعت ذلك الشرط القاسي في عقد زواجهم، آيتان كانت ساخطة عليه غاضبة حاقدة وضائعة في شعورها أنها لم تستحق حبه وتضحيته بينما أقدم هو بالتنازل عن كل شيء من أجل ان ينقذ أخرى، دجينة استحقت منه ان يُضحي بحريته و يعود لقيود عزيز ..بينما ترك آيتان ليلة عقد قرانهم وحطمها من أجل ان يثبت لوالده أنه لم يخلق لفرض القيود عليه"

اغلق جلاء جفنيه بقوة بينما يراقبها تتوجه نحو الباب الخشبي الصغير للحمام دون أن تتفوه بكلمة بينما عيناها تحمل نظرة وجع وخيبة ذبحته وجعلته يتمنى ان يتلاشى في تلك اللحظة!!

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

لقد اشتاق لرسمه ..لألوانه ومرور يومين وقبلهم ما يقارب الشهرين في صراع مع آيتان مع كل ماضيه الذي هرب منه جعله يريد ان يخرج صراخه عبر ألوانه الجنونية، وعلى نغماتٍ موسيقى "تشايكوفسكى" التي لم يعرها جلاء اهتماما حقيقيا

فرشاة وحشية.. نوربلاك

كان يضرب بفرشاته بشكل متسارع مجنون ألوان صاخبة صارخة عيناها تطلق وحشية غريبة بثورة تخرج من أعماق روحه ، تتباطأ الموسيقي المتصاعدة فيتمرد جلاء بحركاته السريع المجنونة التي تصرخ فيها فرشاته بألوانٍ وحشية متدرجة بثورةٍ لونية نقية متفجرة ،لم يرسم يوما كمبادئ مدرسته مكتفيا بما وصلت اليه المدرسة الانطباعية كسابقيه ..بل اعتمد جلاء على التلوين المباشر ..اهتمامه متوجه لاختيار الألوان وانعكاسها على تلك اللوحة ، لا يهم شكل الرسم النهائي ، ضربة فرشاة اثنان وثلاثة وحتى خمسة ما يهمه أن لا يسمح لهم بالاختلاط ، ما يهم أن يرفض قتامة ألوانٍ الأسود ويرفض صراخه القاتم بين ألوانه ..ابتعد جلاء أخيرا ينظر للوحته وصدره يهبط ويعلو بعنف شديد متوحش يحاول التقاط أنفاسه ولم يهدأ بعد ..بداخله براكين تمرد و نيران عذاب صرخة اعتراف وتوهان ..من يريد وكيف يتنازل ؟ صرخة عنيفة داخلٍ صدره قوية مزلزله كيانه "هو يريدهاااا ولم يرد سواها يوما، حتى عندما تمرد وانفتح على العالم وخاض في وحل علاقات عابره، لم تستطع أنثى واحدة ان تحتل ألوانه وتفرض نفسها بتوحش على لوحاته"

"آيتان"

همسها من بين أنفاسه المتقطعة وعيناه تبحث عنها سريعاً "تباً كيف غفل عنها الغبية من الممكن أن تخاطر في جنح الليل وتحاول أنٍ تهبط من ذلك الجبل باتجاه المدينة، وهذا المكان منعزل تماما، ألقى فرشاته جانبا بينما يهرول للخارج باحثا عنها لائما نفسه بعنف"...

توقفت خطوات جلاء حينما وجدها هناك في ظلام الجبال تقف برداء أبيض واسع فضفاضٍ بلا أكمام يعلو ركبتيها فيطير بفعل الرياح كاشفا عن جسدها، ابتلع ريقه بتوتر ولم تكن الاثارة هي ما تتحكم فيه ولم تشتعل رجولته مطالبة بها، بل شعور بالكره الذاتي اشتعل ..غضب لذنبه، وهو يرى بجعبته البيضاء ترفع شعرها في تسريحه بسيطة فوق رأسها بينما يقسم

انه رأى بعين الخيال لمعة الدموع في عينيها انقبضت معدة جلاء بشعور بشع محترق وهو يتذكر ذلك التسجيل لرقصتها الأخيرة على مسرح الأوبرا والتي طبعت بعنوان "انهيار بجعة الأوبرا بعد أن أدت الرقصة بكمال لم تستطع أن تصل له راقصة صغيرة من قبل"

راقبها جلاء وكأنه يرى العرض حقيقةً .....

تدور في عالمها الخاص تطلق لجناحيها حرية الرفرفة بينما صوت المزمار الى جانب آلة الهاربون في معزوفة ناعمة رقيقة تعبر عن اللحن الساحر، لتلك البجعة الساحرة النقية ، عذراء الروح والجسد ، ضمت آيتان يديها لأعلى بينما ترتفع ساقها اليسرى بحرص وبطئ لتلامس بأناملها ساقها اليمنى ببطء ثم ترتفع حتى تصل الى ركبتها فتثبتها ثم تدور حول نفسها ببطء بينما تنحني يمين ويسار وكأنها طائر جميل يتمايل بسحره ويمتلك العالم كله ..عادت لتهبط مرة اخرى على قدمها ، وقفت على أطراف أقدامها ، بينما تقفز لأعلى ثم تهبط لأسفل بحرفيه آسره للعين والروح.

اقترب منها جلاء ببطء مأخوذاً مبهوراً كذلك الأمير الذي وجد بجعته الأسيرة عند البحيرة السحرية

فجفلت ملامح آيتان بينما تعود للوراء على أطراف أناملها وجسدها ينحني لإمام برشاقة يدها تمنعه وعيناها تتوسله الابتعاد وعدم الاقتراب منها وأذيتها ، فاقترب أميرها يحاول إقناعها أنه لم يقصد لا أذيتها ولا إجفالها، تبتعد فيقترب تدور وتقفز ثم تهبط على الأرض بخوفها ؛ بإصرار يفرد ذراعيه يدب على صدره ويجدد وعده بحرص توقفه البجعة البريئة الساذجة، يمسكها أميرها من خَصرها فترفع يدها لأعلى بسلاسله وقدمها تتسلق مرة أخرى على ساقها يدور أميرها بها فتمنحه هي الثقة ، ساعديه القويتين تأثرها يحتفل بنصره وامتلاك زهرته يعود ببطء يضعها على الأرض فتدور حوله على أطراف أناملها مبتهجة سعيدة بحبه ..ترقص على أنامل قدم

واحدة تتقافز بالتبادل مع الأخرى تحت نجوم السماء الصافية لحقها يطاردها بحبه ووعده بسحره ،إلى أن أحكم طوقه عليها مرة أخرى لتتوقف رقصتهما بينما حاليه من نوع أخر تكبلهما فيطوق خَصرها بذراعيه بينما ترتفع هي على أطراف أناملها ويده تمتد تسند ساقها بينما ساعده يلصقها فيه ،الموسيقي تتصارع بنغمات جنونيه المزمار يضرب بعنف ألحانه وبدون مقدمات كان يضمها إليه ويختم رقصتهما بقبلة عاصفة مجنونه غير مقيدة محررة جنون كليهما وصراعه ..شفتاه لا ترحمان، تكتسحها بإصرار ..كلما حرر شفتيها يضغطها أكثر لجسده يهمس اسمها بيأس وكأنه يبحث عن شيء ضائع فيها .

حاولت آيتان المقاومة فلم تجد قدرة على رفض مشاعره العنيفة المختلفة كليا عن تجاربها السابقة معه تلك المرة كان جلاء تائها بها وفيها تدور وتدور بدوامة متسارعة متداخلة الألوانِ والمعاني كانت ترتجف فعليا بين يديه توقيته كان مرعبا قاتلا، كأنه يعلم تحديدا أي وقت كان يحدد اكتساحها من جديد همست، ضائعة وكأنها تبرر موقفها "لم أحاول الرقص منذ أن وقعت عن خشبة المسرح بعد أن ختمت العرض"

كان جسده القوى يرتجف بينما يضمها اليه حتى لم يصبح هناك مجال للمزيد بينما يخبرها ذاهلا

"كنت أحب رقصكِ، ومازالت أحب تذكر عروضكِ فرشاتي البنفسجية"

أصابعها تتلمس خصلات شعرها الغوغائية بينما عيناها تتهربان منه وأخبرته "لقد فقدت قدرتي على الرقص أو نسيت الخطوات أو ربما ذلك الكسر المضاعف الذي اخترق أحد أوتار ساقي أثر بي"

لا تعلم كم لحظة مرت و كلاهما يحدق في الآخر بمشاعر مختلطة غير محدده فاقدين عنصر الزمن والمكان وكل حُجة فرقت بينهم ..لم يبقى إلا هو وهي فقط

فرشاة وحشية.. نوربلاك

"أنتِ لم تفقدي شيئاً مازالتِ صارخة بحيوية حركاتكِ الدرامية، فرشاة ألوان حرة حالمة تخطو بأطراف أناملها على أوتار الرومانسية"

عندما انحنى مرة أخرى تهدج صوتها كما فؤادها وهي تهمس "جلاء " دوامة ألوان متواطئة مع حركاتها وموسيقاها الصاخبة كانت تُلقي بها بين غيابات مشاعره فظلت مستسلمة تدور وتدور بين مضخة قلبه الصاخبة إلى أن شعرت بنفسها تسقط فجاءة فوق فراش ناعم لين استقبل جسديهما المتشابكين بهدوء الموسيقي التي توقفت مرة واحدة جعلتها تنتفض بعد لحظات من غيبوبتها لا تعرف تحديدا كم مر من الوقت وكلاهما يتقلبان بين الحنين والإعراض .. بين الشوق والبغض ..بين دوامة الحب الناري الذي ينهش قلب كلا منهما ..رافضين بعنف الإقرار بالحب والكبرياء ،

نظر لها من علو باستفهام يائس بينما تخبره متأوهه "غدر الأمير بالبجعة، انتهت قصتهم بمأساوية لتجد حريتها بعيدا عنه في الموت فقط"

إحساس بالصقيع غلف قلبها وهي تكمل بنبرة سوداوية وكأن وعيها يعود رويدا .. رويدا من فرط مشاعره التي فرضها عليها "ضحى بها من أجل إغواء أخرى، كسرها دون تردد وأهتم بنفسه ..قدم للبجعة السوداء ما لم يستطع أن يقدمه لمن أحبته بصدق"

هز جلاء رأسه برفض قاطع بينما يخبرها بصوت متحشرج "كذب .. هذا ما حرفوه ..أنهم شوهوا الحقائق وما ظنته ملكة البجع الحمقاء الأمير كان فقط ضائعا وتائها، ساخطا وثائرا ، غلطته أنه بحث عن نفسه ولكنه لم يمنح امرأة سواها جزء من روحه"

دفن رأسه في جيدها بينما يخبرها مقراً "لم تظهر الأخرى من الاساس في ذلك الوقت ..علاقته بها مختلفة تماما عن تفكير ملكته"

كل ما يقوله يزيد النار في أحشائها فتستيقظ من تلك الهوة التي ألقاها فيها واقحم نفسه معها ..دفعته بعنف عنها فاستسلم بقنوط لجنونها قفزت من الفراش لتبتعد عنه خطوات بينما تخبره متهربة "كذب ، أنا لن أصدقك أو أمنحك الأمان مرة أخرى أبدا جلاء ، كم مرة أخبرتني هناك بأني ألمس شيئا فيك ، أقتحم فنك ووحشتيك ؟ بينما راقبت بعيني أن لا امرأة احتلتك غيرها"

لم تهتز شعره فيها وهي تُقر أنه ملك لأخرى، بينما هو يتساءل مختنقا من التي أمامه ومتى حولها لقطعة من الجليد البارد أين بنفسجتيه الصفراء متوهجة المشاعر ومنطلقة الروح"

عندما لم يمحنها الرد بينما تراقب جسده المستلقي على الفراش الواسع يحتله كله بغير انصاف هربت من أمامه نحو الحمام ربما تستطع ان تلملم بقاياها هناك"

شعرت بخطواته تسرع خلفها وفي لحظه كان يمسك خَصرها بتهور صرخت بانفلات "ابتعد يا جلاء لن أتردد لحظة في فتح رأسك"

لم يهتم وعاد إلى حامل لوحاته الخشبية ليرمي تلك اللوحة الصارخة جانبا وبرشاقة استطال بيده ليضع أخرى بينما يكبلها بذراعه الأخرى ليخبرها بإصرار "عندما اخبرتكِ أن لا امرأة سواكِ فرضت نفسها على لونية رسوماتي أنا لم أكذب ولا أحد يجبرني على الكذب أو تقبل ما لا أريده حتى لو كان أنتِ"

كانت تحاول التملص منه بالفعل بينما هو في عالم أخر مصر على ما يفعله التقط فرشاته وشرع في ضرب لوحته وأخبرها صارخاً شارحاً ألوانه:

"أزرق يا باردة يشبه ما أنتِ عليه اليوم ساكنةٍ هادئة جليدية وفي لحظة يهيج بجنونه ويصبح موجا ثائرا حارا من شدة غضبكِ وفي لحظة تجدين اتزانكِ"

بينما تقاومه هتفت تردد "اتركني يا أحمق"

التفت بوجهه غير معيراً لطلبها اهتمام وأخبرها متحدياً

"مثل عاطفتكِ تماماً التي تسلمين لي وتتوهين فيها بين عاطفتي ثم تنقلب فجأة لكراهية"

بهتت ملامحِ آيتان و هدأت محاولتها قليلاً ..قليلاً فقط فرمى فرشاته أرضا وجذب أخرى بحده قائلا "أصفر ، وهج الشمس فيكِ الذي يحتل اهواءكِ فيفرض نفسه عليكِ وأنتِ بغباء تحوليه للون رمادي قاتم"

يده كانت تلون سريعاً كأنه عجلة هوائية مجنونه في مهب عاصفة قوية ستجرف الكثير من الثوابت، أجفلها وهو يفلتها فجاءة ويلقي بفرشاته الأخرى أرضا بينما يجذب أخرى بالون الأحمر الناري، احتلت معظم تلوين لوحته بينما يقول بصوت ليس صوته غريب متحشرج ضائع

"أحمر دافئ، قيادي، طموح عزيمته لا تنكسر ..لا يقبل بالفشل ،عاطفته قوية في الحب والكره والغضب"

انتهي من لوحته ونظر لها باستسلام وقال "اللون الجوكر هذا أصبح لونكِ ..غضب ، حب ، شغف ، قوة وخجل"

تراجعت آيتان خطوات، انحنى جلاء على الأرض والتقط فرشاته وألوانه وهو يقول "وأنا.. أنا الأسود سجان تلك الألوان وقاتلها وقاتل روحي معها، أنا اللون الضائع يا آيتان"

رفع وجهه نحوها وقال "انظري لتلك اللوحة جيداً لقد قمت بتلوينها العديد والعديد من المرات ولكن لم تصرخ إلا بوجهكِ أنتِ بين خطوط ألوان موسيقى العين، بينما وجهكِ هنا أشعل ألواني بحرقة مبهمة في صدري"

نظرت له آيتان نظرة ليست لها معنى بينما تخبره مردده "أريد أن اذهب من هنا، كل ما تقوله لا يعنيني"

صرخ جلاء وهو يقترب منها "تباً لكِ آيتان، تريدين العودة حسناً .. ستحصلين عليها مع تحررك مني"

اقترب منها بالفعل فنظرت له ببرود تخبره مستفزة "ابنة التاسعة عشر نضجت بقسوة على يديك فألوانك ما عادت تغويها جلاء لم يعد أي شيء تقوله سيغير ..

"اه"

صرختها آيتان مجفلة بينما عيناها تجحظ بصدمه تحدق في وجه جلاء الذي توهج بغضب أعمى وهو يرفع فرشاته وبدون تردد ضرب بها على ذراعيها "أنت جننت تماما، يا متشرد، يا فنان الأرصفة"

ابتسامة شريرة احتلت فمه وعيناه العسليتين تحولت لكتلتين من الجمر المستعر ..فرفع فرشاته الأخرى يضرب بها على صدرها فتلون جيدها العاري من بين طرفي فستانها المفتوح لم يمهلها حتى التفكير للرد أو للهرب و يديه تمتد بدون تفكير حتى يمسك بطرفي فستانها الحريري محاولا تمزيقه"

"حسناً يبدو أن الامر لم ينجح تماماً حتى اللحظة المجنونة المتوحشة أضاعتها عليه ..فتحت آيتان فمها وتلك الحركة غير المحسوبة أجبرتها على الضحك فاستغل الفرصة سريعا وعاد يلصقها بجذعه بأحد ذراعيه والذراع الأخرى ترفع طرف الفستان وخلعه عنها رغما عن أنفها ..صدرها الذي يهبط ويعلو بانفعال جعل جنون يتلبسه هو الأخر فرفعها وأجبرها ان تطوق ساقيها بخصره ثم دار بها بجنون وبصراع أذلي لإثبات من فيهم الأقوى ..كانت شفتيه تكتسح شفتيها ويديه تعبث بجسدها ..ألوانه تلطخ كل إنش منها ،يديها تصارع مع قميصه الملطخ حتى خلصته منه ورمته ليجاور فستانها المسكين رفع رأسه عنها ليخبرها

"اعتقد إننا أصبحنا متعادلين إن كان هذا سيرضيكِ"

"لن يرضيني إلا انتزاع روحك من جسدك لأتركك خالي الوفاض"

انفاسهم تتسارع بشراسه منفلته بوتيرة واحدة بينما وجد نفسه في لحظه يهبط بها على أرض الغرفة تحت حامل لوحته وبين

ألوانه الصارخة التي اهتزت معهم وشاركتهم أرض الغرفة الباردة ..أشرف جلاء عليها بجسده يستند بكفِيه على أرض الغرفة و ساقيها مازالت متعلقة به اخبرها لاهثا "أنا لن أستطع التوقف حتى وإن التهمتكِ بوحشية"

لا تعلم تحديدا سر الجنون الذي تلبثها بينما تخبره بنفس مماثل "أنا لا أريدك أن تتوقف جلاء، والصراع بيننا قائم"

مال جلاء وحاصرها بكُليته ..يديه تشتد على خَصرها وجسديهما يتصارعان حرفيا يتقلبان على الأرض في موجه مشاعر عنيفة برية وحشية لم يعلم حتي فيها من كان المسيطر الحقيقي كل ما علمه "أنه لا يريدها أبدا أن تتوقف عن مصارعته"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

الفصل الرابع:

أستيقظ جلاء عندما لفحته أشعة الشمس المتسللة من النافذة المحفورة على جدران الجبل لتدخل بعض الهواء النقي ..كان يهم للوقوف وإغلاقها عندما أوقفه جسد آيتان المستريح على صدره، فعاد يتذكر بقسوة حرارة اللقاء عيناه تمشط ملامحها الهادئة المستكينة على صدره ، فيكاد لا يصدق انها نفس المجنونة التي اجتاحت قلبه كما هو اجتاح أنوثتها البريئة ، حمراء المشاعر كانت تماثله وحشية وعنف في لقائهما رغم براءة أفعالها ولكنها كانت تتعلم منه سريعا ..سريعا جدا بطريقة جعلته يوقن أنها تريد ان تصل لنقطة تلاقي بينهم كما كان يفعل هو ..أزاح شعرها الكثيف عن وجهها فابتسم بهدوء وهو يرى ألوانه التي تغطيها كاملة ..عيناه انحرفت نحو ذراعيها العاريتين وقد تكفل قميصه بستر القليل من جسدها البض تذكر أنفاسهم الذاهلة ونظراتهم الغير مصدقة عندما عادا لأرض الواقع أخيرا ليستشعرا تلك الفوضى التي افتعلاها في أرجاء الغرفة بينما جميع ألوانه اختلطت وأغرقت جسديهما المتشابكين على أرض الغرفة ..تذكر همسه ليخبرها "هل شعرت المرأة فيكِ الأن أنه لم تصل أبدا سواها لألواني"

لم يفهم حقيقة تلك الدموع التي انسابت من مقلتيها ..هل هي دموع الندم والخجل أم الشعور بالخسارة وهي تخبره "مجرد عدد في دفترك يا جلاء ، فور أن تنفصل عني ستنسى كل ما كان"

فهمس هو بتصلب جاف "هذا لأنكِ غبية في عواطفكِ، أنا أرفع راية واحده وأخبركِ مستسلما أن هناك نقطة برية متوحشة يفقد فيها الرجل عقله وقلبه متحررًا من المنطق والمكان ولا يتحكم به إلا الوحش الكامن فيه"

كانت تنظر له بعينيها المتوسعة بتوسل بينما هو يميل مرة أخرى يهمس أمام شفتيها قائلا "تلك النقطة لا يصل فيها إلا مع امرأة واحدة ..واحدة فقط آيتان ليتحد معها ويجد الشيء الناقص فيه ..يتحرر من كل قيد دون خوف أو حرص أو تحفظ"

احتواها كلها بين ذراعيه ليعود لذلك الجنون الصاخب الذي جربه معها وهو يقول "وأنتِ وحدكِ مِن وصلتي لنقطتي البرية" وحتى مطلع الفجر كان يثبت لها كلامه عملياً متوحشاً عنيفاً صارخاً ربما يصدق عقلها الصدئ اعترافاته

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

فتحت آيتان جفنيها مستشعره وحدتها في الغرفة، مدركة برودة الأرض وقسوتها تحتها ، ظلت ساكنة مكانها لدقائق ، جامدة العقل والتفكير ، حواسها مغلقة تماما ، تحدق في البعيد متذكرة بقسوة كل لحظة عاشتها بين ذراعيه بالأمس ، شيئا فشيئا كانت تعود الى واقعها المحيط بينما تنقلب على ظهرها تحدق في السقف الخشبي ، أغلقت عيناها بقوة للحظات طويلة بينما تستشعر تلك الملاءة الحريرية حولها ، جذبتها حولها بينما تعتدل أخيرا من رقدتها وهي تطلق تأوه مكتوم ..تحاملت على نفسها بينما تحاول النهوض مدركة حاجتها لحمام طويل دافئ لتزيل عنها آثار ألوان جلاء التي تغطيها ولكن كيف يمكنها ازالة تلك الكدمات التي تظهر بتفرق على جسدها؟ كيف تزيل صك امتلاكه الذي منحته له راضيه؟ لن تخدع نفسها و تبكي ألم الخسارة ..ربما كان يشعر بانتصار أحمق ولكنها تدرك جيداً أنها هزمته، نجحت في أسر وحشه المتمرد ، جعلته يقر معترفا أن هناك نقطة ما مجهولة تسيطر فيها على دقاتٍ قلبه وتفرض قيدها ولن تستطع سواها أن تصل إليه يوما ..فجلاء يكره الضعف ويستفزه تحديها وقوتها ووحشتيها في لقاء غرامهما .

وتحت المياه الدافئة سمحت آيتان لدموعاً تحرق عيناها بالهبوط فتجري مُحرقة وجهها ..تسابق ألوان جلاء التي تختلط بالماء المنهمر فوقها سَامحة لنفسها بتصديق اعترافه المتواري "أنٍ عشقه لها عاصف ..ضاري ، بدائي صارخ ..كانت تجاهد حقا أن لا تتذكر الدفء الذي استشعرته والأمان الذي أحسّته ، أمان

رحابة صدره ..قُبلته و...و همسه العنيف في اذنها بتلك الملكية الغريبة"

أربع سنواتٍ أدمنت هذا الرجل حتى وهو في منفاه ولم تستطع العلاج يوما أو ربما هي لم ترد من الأساس!!

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

وكأن ما حدث بينهم بالأمس لم يحدث من الأساس ..المستفزة مازالت في تحديها و جنونها المنفلت لقد تطرفت تماما وهي تقف أمامه بشورت قصير وبلوزة حريره ضيقة تكشف صدرها وذراعيها باستفزاز له وقد تذوق بالفعل معنى أن تكون تلك المتوحشة في نقطة لقاء معه!!

"أنا أريد الذهاب من هنا لدي عملٍ بالفعل وشركة أديرها، أنا لست صعلوكة مثلك تنتظر صفقة ما لتحصل على بعض المال"

لم يعيرها جلاء أي اهتمام يذكر بينما يتحرك بسلاسة الى البار الصغير ليضع الأطعمة في أطباق وأخبرها بفتور

"هناك مطعم في السوق القديم بمدينة شرم الشيخ يقدم بط بالطريقة الشعبية أكثر من ممتاز، لقد أرسلت في طلبه عندما كنتِ نائمة، هل تتناولينه معي هنا أم في الخارج"

وجهها تكلل بحمرة خجل تلقائية عندما تذكرت أين نامت وكيف استيقظت فأخبرته بتوتر "أنا لن أتناول معك شيء، من فضلك أعدني جلاء، والدك بالتأكيد سيجن لاختفائي"

حمّل جلاء الأطباق بين يديه وسار نحو الخارج بينما يقول بجفاء "لا، أنتِ مختفيه معي وبالتأكيد أمرنا لا يخصه اطلاقا"

زفرت نفساً مغتاظاً مكتوماً بينما تلحقه للخارج وهي تقول صارخة "ما الذي تهدف له تحديدا بما تفعله، دعنا ننهي تلك اللعبة"

لم يلتفت إليها وهو يفرش سجادة صغيرة على الأرض ورص الأطباق عليها بينما يقول "الطعام ساخن وأنتِ لم تتناولي شيئا منذ ليلة أمس، فهل تكرمتي وأتيتِ إلى هنا"

سمع تمتمها بكلمات غير مفهومة فوق رأسه فأخبرها بنبره قاطعة مسيطرة "دعينا نعقد صفقة، اليوم فقط نأخذه هدنة ونتوقف عن محاولة قتل بعضنا، هل تستطيعين فعل هذا؟!"

لم تصدمه عندما راقبها تجلس متكئة على الأرض بركبتيها بينما تنظر للطعام مترددة فقال جلاء

"اطمئني لم أضع لكِ فيه السم، يمكن أن تأكلي دون قلق"

أخبرته ببرود "اخرس"

هز كتفيه بلا اهتمام بينما يمد يده ويشرع في تناول الطعام وكل منهما شارد في عالمه الخاص، هي مازالت تعاني من تناقض مشاعرها هناك غلاف يحيط بمشاعرها، ألم، عشق غبي، وبعض السعادة التي تسيطر على مشاعرها.

رفع جلاء يده ببطء نحو فمها بقطعة من صدر البطة قربها منها دون أن يتخلى عن شروده وبنفس الصمت تناولتها منه دون حتى أن تجادله، لبعض الوقت استمر في فعلته الشاردة بينما عيناه تتفتح على الواد الضيق المنعزل والمحاط بقمة جبل سانت كاترين التي تمثل نصف استدارة ..يعلم أن من يصل لقمة الجبل يستطيع أن يرى قناة السويس وجنوب سيناء كاملا ،الهواء الطلق مع نسمات الهواء الخفيفة كانت تمنحهم سكينة حقيقية كلأ منهم إحتاجها ،أخيرا قطع جلاء الصمت وهو يسألها كعاداته مباشرا وصريحا "ما الذي حدث لكِ على المسرح كان كل شيء جيدا كما رأيت كيف اختل توازنكِ آيتان؟"

نظرت له آيتان بتردد بينما تحاول رسم تعبير حيادي على ملامحها وهي تخبره بخفوت "عندما تلقيت رسالتك الجافة تخبرني فيها أنك هجرتني أو أيا ما كان من كلماتك الغبية ، كان باقيا على العرض عدة دقائق، دخلت في حاله صدمة حقيقية ، وعندما اعتليت المسرح رقصت كأنى حرفيا ألفظ

انفاسِي الأخيرة وعند الوصول لنهاية العرض كان كل عالمي أسودا أمامي فاعتليت المنصة التي من المفترض أن تنتحر البجعة البيضاء من فوقها ولكن كانت عيناك أنت تنتظرني بالاتجاه الأخر ..وبدلا من أن ألقى بنفسي على بساط الأمان ، هبطت مباشرة على ساقي اليمنى"

صمتت فجاءة بينما تتناول قطعة طعام بعصبية ..عينيها الجميلتين حجبت دموعها عندما أردفت تدعي عدم الاهتمام

"عام ونصف كاملين أعاني من الجبس وتركيب شريحة ثم نزعها وبالطبع عرج خفيف تخلصت منه بالعلاج الطبيعي"

بمعجزة في التحدي والإرادة كان جلاء يمنع نفسه بصعوبة كي لا يُبدي شفقته وكي لا يظهر ألمه مع تعذيب ضميره بينما قال بعملية

"وكيف وصلتي لقبضة عزيز؟"

نفخت آيتان بضيق وهي تجيبه "عزيز ليس عدوك او عدوي كل ما هناك أنا دخلت في حالة كآبة كانت ستودي بي إلى التهلكة ..فعرض عليّ والدك أن أذهب للعمل معه وأساعده في أشياء خفيفة وأن أرعي ميراثي معه"

"ثم أخذتني دوامة العمل وأحببته إلى إن أصبحت ما أنا عليه اليوم ..بعد أن فقدت أملي في البالية كليا وإلى الأبد"

هل يكذب جلاء على نفسه؟!! قديماً كان يشعر بغيرة مبهمة من تنشئة آيتان بين والدين أحسنا تشكيلها قوماها وزرعا فيها التوازن الداخلي ..الثقة بالقرارات وعدم السماح لنفسها أبدا بالانكسار أو اليأس ابنة عمه كانت تعرف جيدا كيف الطريق للوقوف قوية ،صلبة ،شامخة بعد كل عثرة تقابلها ..أجفلته وهي ترفع وجهها لتخبره بصوت غريب "وانتظرتك لأخذ ثأري منك كنت أعلم جيدا أنك ستعود"

تجمد جسده وهو يقول

"وما مكسبكِ من ذلك الزواج؟ إنه خسارة لكِ بكل المقاييس"

استمر صمت طويل بينما تتنفس بهمجية مشتعلة قبل أن تخبره "أكره الأعمال العالقة، وأنت كنت أحد أهم أعمالي، ولذا كان يجب أن أحقق انتصاري عليك حتى وإن خسرت فيه جزءا من نفسي"

"كالذي قدمتيه طوال الليل"

سريعاً من بين انفاسها همست "أكرهك يا جلاء تباً لك، لا تُشر لشيء انتهى ولن يتكرر وإن رقصت على رؤوس أصابعك"

بدون مقدمات كان يجذبها من كتفيها نحوه لتقع مباشرة على صدره ليطبق فمه الغليظ على شفتيها بعاصفة حميمية مجنونة ..ابتعد لوهلة هامسا أمام شفتيها المرتجفة كسائر جسدها "لا سيتكرر كثيراً ..كثيرا جدا، إن نزاعنا معا لن تربطيه بما وجدناه معا أخيرا"

حاولت مقاومته بشراسة حقيقة تخبطه بعنف بينما تسبب صراعهم في تناثر الطعام حولهم ألقى جلاء نفسه على البساط بينما آيتان تعلوه بأنفاس مجنونة تأمره بالتوقف فيعود لدفع رأسها نحوه ويكتم جنونها بشفتيه الى أن استسلمت تماما لعاطفته دقائق فقط كان كلاهما ضائعا في تلك الدوامة العاطفية والجسدية كطريقة تواصل بينهما وجدوها أخيرا ،لم يعلم جلاء متى أدارها وأصبحت ممددة على الأرض إلا عندما كانت قطرات مطر غزيره مفاجئة تلسعه على ظهره توقف كليهما ينظران لبعضهما متقطعي الانفاس بينما جلاء يخبرها "نحن متوافقان جدا من تلك الناحية فلنكتفي بها حتى يعلم كلانا ما الذي يريده أحدنا من الأخر"

المطر شوش الرؤية لديها بينما يزداد كثافه فوقف جلاء سريعا وشدها معه ومال ليخطف قطعة بط أخرى وهو يقول متحسرا "كنت أخطط لوجبة دسمة ..أعتقد أنها فسدت"

وضع القطعة في فم آيتان بينما يقول متلاعباً "أو ربما لا"

"أحمق"

شدها سريعاً إليه فتعلقت بعنقه مستشعرة دفء صدره لامست ذلك الأمان الذي شعرت بهِ معه بالأمس فضمها إليه بقوة بينما يتوجه الى الداخل مغلقا الباب خلفه جيدا ثم أنزلها ببطء كلاهما ينظر للأخر بشوق وشغف يتفجر من حولهم بمشاعر جياشة ثقيلة اقترب جلاء بدون تردد بعد أن خلع ملابسه سريعا وأخبرها بخشونة "اخلعِ ملابسكِ المياه تنهمر منها"

ساد الصمت للحظات والتردد يعصف بعينيها بينما حدقت مبهورة ببنيته القوية التِي اخذت تتحركِ بتناغمٍ مع أنفاسه المتلاحقة، لقد كان قوِيا، وسيما متوحشا، مسيطرا عندما يريد ..فجلاء لم يخلق يوما للرسم أو الفن كما يعتقد ..الأحمق لم يُخلق إلا كما اراد له والده للسيطرة عندما يقرر هو"

قالت مضطربة "أنا لا أريدك، أن تغويني مرة أخرى"

قال بِصوت أجش وهو يقترب منها ممسكاً بطرفِ بلوزتها ورفعها عاليا "أنا لا أغويكِ ..أنا فقط أريد أن اتحد معكِ ..أن أتناغم معكِ ..أن أجرب الشعور بالكمال الذي شعرت به بين ذراعيكِ"

وبدون مقدمات كان يلقيها بنفس ذات العنف الذي عاشته معه بالأمس على الفراش بينما يقترب منها يصعد اليها يجثو على ركبتيه و انحنى يضمها بدون مقدمات يمتلكها بالطريقة الوحيدة التي استطاع أن يرضخها فيها ضد إرادتها حتى وإن كانت تبادله عشقه العاصف بجنون مماثل ووحشيةٍ متساوية ..وبالنهاية كانت تستلقي على صدره منهكة عاطفيا وجسديا ، ضمها إليه محاصرا إياها بذراعيه ..قبَل جبهتها في محاوله واهيه لتهدئة ارتياع روحها الغير مفسر، بينما هي ظلت لساعات تحاول تهدئة نبضات قلبها الثائر، رباه ما هذا المأزق الذي أوقعت نفسى فيه لقد وصلت مع جلاء لنقطه اللا رجوع !!

ولأسبوعين أخرين كاملين كان جلاء مستمراً في احتجازها وحياتهم تأخذ منحنى أخر مجنون ..بين صراعهما الأزلي وجرحهما لبعضهما نهارا ثم حديث هادئ متعقل ليلا ينتهي بممارسة هوايتهما سواء في الرسم أو الرقص وتختتم ليلتهم

بعاطفة ثائرة عنيفة برية متوحشة حتى الساعات الأولى من الصباح مُقريّن ومُعترفيّنِ أنها الطريقة الوحيدة للوصال بينهما تُناغم وتصل روحيهما معا.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

"ابتعد، اتفقنا ما يحدث بيننا يكون ليلاً فقط"

ضحك جلاء بصخب وابتعد عنها خطوات وألقى بجسده على فراشها في منزل عائلتهما ..منذ عادا من أسبوع مضى رغم صراعهما القائم مازالت جولاتهم العِشّقِيَة لم تتوقف قط.

قال جلاء بهدوء "أريد إخبارك بشيء"

ردت آيتان بينما تجهز بعض من أوراقها "تفضل ولكن سريعا ليس لدي وقت"

قال جلاء بحرص فمازال لم يحسم أمره بعد "أفكر في العودة لممارسة بعض من عملي القديم"

رفعت رأسها مجفلة تحدق فيه وقالت "هل تمزح أم تخبرني الحقيقة؟!"

اعتدل جلاء وهو يأخذ نفساً عميقاً يملأ به صدره حتى كادت أن تتطاير أزرار قميصه ثم زفر مرة واحدة وهو يقول بجفاء

"لا ..اتحدث جديا ..كفاني هروباً ولكن شرطي الوحيد أخبري عملكِ أن لا يتدخل مطلقا في طريقة عملي وأنتِ من ستكونين رئيستي المباشرة"

وقف أمامها مرة أخرى بينما أنامله تداعب شفتها السفلى ..فارتجفت وهي تتذكر عاطفته بقسوة ، ثم ما لبثت أن قالت "وإلى متى عملك معنا، وكيف أضمن عدم هروبك مرة أخرى وترك العمل ليقع فوق رأسي؟؟"

هبط جلاء بشفتيه يقبل طرف شفتيها وهو يقول بخفوت

"العقد الذي يناسبكِ سأمضي عليه، آيتان لقد أخبرتكِ هناك في سانت كاترين كل ما يعتمل بصدري وقراري للعودة للعمل ما هو إلا شعور حقيقي نابع من داخلي لاحتياجي ممارسة دراستي كما أمارس عشقي للفن"

رفع وجهها بأطراف أنامله وهمس بجانب اذنها بصوت خافت "ابقي معي اليوم لنكسر قاعدة ساكني الليل تلك"

سيطرت آيتان على نفسها جيدا وابعدته بلطفٍ وهي تقول "سأنتظرك اليوم في مكتبي وستجد العقد جاهزا بشروطي إن وافقت عليه تستطيع البدء من الغد"

ابتعدت عنه بخطوات رشيقة مغادرة بينما تخبره باسمه "جلاء"

"نعم"

"لديك مديرة عملية جداً وعادلة، صدقني ستفعل المستحيل لتذكرك بكل ما فاتك"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

"اليوم فقط أنا شعرت باليتم"

همستها آيتان لآصف على الطرف الأخر من الهاتف ..كانت ضائعة و موجوعة وفاقدة لبريق كان فيها ..لم يستطع آصف أن يضع يده عليه وهو يقول "آيتان دعينا نكن صريحين صغيرتي ..ما الذي توقعته حقيقة من عمكِ أن يسلمكِ رقبة ابنه هكذا بسهولة؟"

همست بغصة عميقة داخل صدرها وقالت "لا خالي ومن قال أنى أريد لجلاء الضرر ..ذلك الشرط في عقد الزواج الذي سيكلف جلاء كل أمواله إن أسرع هو وطلقني عمى عزيز من اقترحه ..أنا لم يتطرق لتفكيري من الاساس"

بصوت أجش متعقل كان آصف يخبرها "كونه يريد تأمين ابنه، هذا لا يسيء لكِ في شيء آيتان عزيزتي تصرفات جلاء غير

مضمونة وبالتأكيد عزيز المتحجر رغم معزتكِ لديه لن يترك أمر مصيري كهذا في يد امرأة تهدف للانتقام من ابنه وتحطيمه إن وجدت الفرصة"

تمتمت بهمس متألم "خالي، أنا أحبه لا أريد الانتقام منه في شيء بل أريد إعادته لأرض الواقع ..أريد منه أن يوازن نفسه ويجد طريقة ، صدقني هو على الطريق السليم ولكنه يحتاج لمزيد من الوقت"

بتفهم تام كان يخبرها بدفء "أصدقكِ، حتى وإن كانت طريقتكِ معه غريبة بعض الشيء وحادة وتصل لحد الوقاحة أحيانا"

ضحكت آيتان من بين دموعها بينما تقول "لطالما كنت أنت صديقي وفارسي الحقيقي ..أنا أحبك حقا خالي"

فعاد يقول مازحاً يحاول أن يبعد تفكيرها عن مصدر ألمها ..ذلك العزيز المتحجر الذي يفتقد أقل التصرفات الحكيمة مع جلاء وتبعته آيتان "ربما جلاء سيغضب منكِ إن سمعكِ تخبريني بحبكِ بسهولة هكذا"

رمشت بعينيها بينما تقول شاردة "لا أعتقد أنه سيهتم إن سمع، لا أعلم أنا أشعر أني تائهة معه وبدلاً من أن استغل فرصة رجوعه هنا وأساعده ليعود ذلك الشاب الذي أحببته، أنا من تضيع بين مشاعره التي تتبدل بتناقض متسارع"

صمتت لبرهة كأنها تذكرت شيء ما لم يعد يشغلها الفترةٍ الماضية ربما لأن مصدر ذلك القلق اختفي من عالم جلاء تماما وأصبح كل ما يشغله أن يجاريها فيما تفعله به، بحذر قالت "أين تلك الدجينة، هل أبلغت أهلها عنها كما وعدت؟"

شعرت بأنفاسه التي علت فجاءة على الطرف الأخر وصوته الذي أصبح جاف، غاضب، شرس وهو يقول "دجينة لا تعنيكِ، أريدكِ أن تنزعيها من تفكيركِ هي لم تعد تسبب لكِ أي نوع من الخطر أو القلق"

أخذت نفساً عميقاً قبل أن تزفر بحدة وهي تقولٍ بتحذير صارم "ربما أنا أحقد عليها وأكرهها لأنها حركت شيئا فيه لم أستطع أنا فرضه على جلاء ولكن، أنا لا أريد لها الأذى يا آصف فلا تحملني ذنبها من فضلك"

❖❖❖❖❖❖❖❖

لقد صُدِمَ جلاء في نفسه أنه يتذكر كل شيء، لقد عاد لممارسة عمله بسهولة ويسر فاجأه كما فاجأ آيتان التي أخذت على عاتقها شرح كل صفقاتهم وتوكيلاتهم الحديثة، تحرك جلاء من أمام باب غرفته وخلع ملابسه ورماها بنزق في كل مكان ..كم يكره القيود وتلك الملابس الرسمية ..توجه للحمام ليغتسل سريعًا وربما بعدها عشاء جيد وإغواء المتوحشة سيغير من مزاجه قليلا وتحت الماء المنهمر في الحجرة الزجاجية الخاصة كان يبتسم ساخرا من نفسه قبل الجميع والسؤال العالق في ذهنه "لمٍ عاد الى هنا حقيقة ؟ ولماذا ترك كل شيء قبل أربع أعوام ضاربا بعرض الحائط عمله، والده، حياته و...و تلك التي عذبت ضميره دون رحمة!! فحياته البسيطة التي حصل عليها مؤخرا رغم جنون زوجتهٍ تجعله يأخذ هدنة بسيطة مع النفس ليعيد حسابته جيدا ، ربما هو يحب الفن ويعشق الحرية ، جرب معنى أن يعيش كطير حر طليق دون أن تكبله المسؤوليات خرج من تلك القوقعة التي فرضها عليه والده وفعل كل شيء وجرب كل المحذورات حتى بعض العلاقات العابرة مع النساء أقدم عليها وكم ندم لفعل تلك الغلطة بالذات ولكنه بالنهاية وصل لشيء واحد "كل هذه الحرية لم تلق به يوما "هو لا يحتاج إلا لتوازن نفسي، يحتاج أن يجد طريقه ، أن يمتلك حريته ومستقبله أن يرفض قيد عزيز دون أن يمس نفسه بأذى ..بالنهاية تحطيم عزيز له جعله انسان تافه ضيع بعضا من سنوات عمره في التوهان ، والده كان أكبر انسان محبط قتل بداخله توهج روحه وعبث بمصيره.

نفض جلاء رأسه بحدة فتطاير الماء على الحاجز الزجاجي بصوت قرقعة عالية ..فرك وجهه وزفر بضيق وهو يقول بنفس ساخن "لا يهم مازال لديّ الفرصة لأعيد نفسي لنفسي"

"جلاء هل أنت هنا؟ أريدك في شيءٍ هام"

لقد أتت في الوقت المناسب تماماً قبل أن تجرفه تلك الدوامة ويغرق فيها دون قدره لإيجاد اجابة أسئلته المعلقة ..ابتسامة شيطانيه وصبيانية ارتسمت على فكه العريض قبل أن يهتف بصوت جهوري "أنا في الحمام هل يمكنكِ أن تناوليني إحدى المناشف ؟لقد نسيتها"

التقطت آيتان ملابسه الملقاة بإهمال في الغرفة وبادلته الهتاف بنزق قائلة "أنت فوضوي بشدة، أتذكر أنك كنت منظم لدرجة مملة ما الذي حدث معك؟"

بجدية كان يقول بصوته الجهوري "خلعت تلك العباءة التي تستر تمثيلي الغريب عن نفسي وتحررت منها ..حقيقتي الأبدية أني فوضوي أعشق الاهمال ،إنه يمنحني الإلهام فهل تستطيعين أن تتعاملي مع الوضع؟"

كانت تفتح الباب باندفاع منفعل عقب كلماته الأخيرة بينما تخبره متحدية

"نعم أستطيع ولكن هل ستتحمل أنت ذلك أم ستسارع للهرب من قيدي أنا الأخرى ؟؟"

فتح الباب الزجاجي ليخرج منه ببطء و مشطها بنظراته ..شهقتِ آيتان بعنف ووجهها كله احتقن بالخجل وأغلقت جفنيها سريعا وقالت باستنكار "ما الذي تفعله بحق الله؟! ارتدي شيء أوعد للداخل"

أناملة اندست تحت ذقنها ورفعه إليه يتفحص ملامحها بإصرار كأنه يبحث عن شيء حقيقي ضائع ولن يجدهِ إلا فيها "افتحي عينيكِ وانظري لي ..لا اعتقد أن هناك شيئا بيننا يمكن أن نداريه"

هزت رأسها برفض وهي تقول مرتبكه "ليس بتلك الصورة"

بنبره متسلطة أمرها "افتحي عينيك وانظري لي، افتحيهما آيتان وأخبريني بدقة ما الذي ترينه؟"

امتثلت لأوامره فتحت عينيها ببطء شديد نظراتها وقعت على وجهه مباشرة سواد عيناها اللامع وقع في عسل عينيه الساخن بتوهج ناقص، أخذت نفسا عميقا وهي تؤكد لنفسها بأنها تستطيع فهمه، لمحت الرجاء المستتر في نبراته، شعرت بسؤاله الحقيقي من بين طلبه بوصفه همست "أرى جلاء المنغلق قليل الكلام، المنطوي داخل قوقعته، ينبثق منه عنفوان مدمر للجميع ..عنفوان طال عمق روحه ، أرى رجل أحبه ولكنه لم يكن بالشجاعة ليحب نفسه أولا ، أرى بقايا طفل شعر بالخيانة والغدر من والدين لم يتفهما حاجته الحقيقية يوما"

راقبت تفاحة آدم تتحرك مع ازدراد لعابه وهو يهز رأسه قائلا "تعرفين الكثير، إذا لِما التحدي والبحث عن شيء لن تجديه في ذلك الضائع؟"

"لا، أنا كنت ابحث عن شيء لي أنا، أنا أحببت نفسي لدرجة وعدتها بإعادتك إليها، أنا أردتك بشدة لأني لم اتحمل كوني مهملة فاشلة لا تستحق منك المثابرة من أجلها"

مد يده يفك عقدت شعرها يتخلله بأصابعه وهو يقول متهكماً "أنانية أخرى ارادت هدف لها مني، قيد تضعه حول عنقي تنتظر أن تشكلني بين يديها"

رمشت بعينيها وهي تقول "لا، كل ما هنالك أننا جميعاً نستحق وقفة مع الذات، أن نتعامل بأنانية فيمن نحب على الأقل مرة واحده خلال حياتنا"

أرجعها جلاء إلى الحائط يسندها عليه وأمال جبهته يضعها على جبهتها مغلق الجفنين بينما خرج منه نفس أخر ساخن لفح بشرتها فجعلها تهتز دون قدره على التوقف وهو يقول "أتعلمين لم اخشى الموت يوما أو أفكر به او أهابه، ولكنى ارتعبت حقا من فكرة سيطرت على عقلي أن أصل لنهاية حياتي دون أن اعيشها

..حقيقةً حلم عزيز أن أصبح رجل الأعمال الجامد المشاعر من بعده ..أن أكون كما يريد وأتحول إلى بارد جليدي اقتل ذلك الجزء المتمرد الصارخ مني ..حلم عزيز كان يخنقني يقتلني ، فأردت أن ألفظ حلمه بعيدا، وأسمح لحلمي أن يتملكني"

تمتمت بهدوء "وما هو ذلك الحلم؟"

ضحك بقهر بينما يده تشتد حول وجهها وقال "لا ٍ أعرف لسخرية القدر أنا لا أعرف، كل ما أعرفه اني أحاول حقا العودة لما أريده أنا ..لا ما يفرض عليّ"

اغرورقت عيناها بالدموع وهي تكافح رغبة ب ...بماذا؟ لم تعرف، لم تستطع أن تفسر ذلك الشعور العارم بداخلها ٍللوصول لشيء ما معه، هي كما أخبرت آصف قد ضاعت كليا مع جلاء ولن تعد إلا بإيجاده ما يبحث عنه قالت بصوت خنقته الدموع "وهو فرضني عليك، لذا أنت تركتني دون ذرة تردد وغادرت ؟!"

نظر ٍالى وجهها للحظات، وكأنه يتردد ألا يخبرها، قبل أن يأخذ نفسا خرج من داخل هدير ٍفؤاده، ثم ما لبث أن قال بهدوء وجدية ٍ"بأول الأمر رفضتكِ تماما، ثم عدت للتقرب منكِ فسلبتي شيئا من داخل روحي، وبعدها لم يتردد عزيز في اخباري أنكِ مجرد فرض اختاره هو ويجب عليّ التنفيذ، فشعرت بحاجة عنيفة للصراخ والثورة ..أقل حقوقي الأدمية ليس لي الحق بها، لذا حدث ما حدث أنتِ لا تحتاجين لتذكير به"

اغمضت عينيها وهي تتنفس بعنف مكافحة الرجفة التي اجتاحتها ثم قالت "وكأن ما تردد قوله سيغير شيء"

ضغط جسدها بجسده بينما يديه هبطت تتلاعب ببلوزتها وهو يقول بصوت مبحوح غريب "ولكني عدت ووجدنا شيئا مشتركا بيننا يصعب أن أنكره لذا أعتقد انه سيغير الكثير"

حاولت ان تبعد كفيه عنها بيأس قائلة بقنوط "لم آتي من أجل هذا، كنت أريدك في ملف عمل ..قطعت كلامها وهي تشعر بشفتيه النديتين تغزوان بشرتها.

"ابتعد"

فهمس من بين شفتيه الشغوفة "الوقت فات على أمركِ هذا، لقد تجمد جسدي وأريدكِ أن تدفئيه"

يديه العابثة أجبرتها على خلع بعض من ملابسها بالفعل، فحملها بين ذراعيه ٍيلف ساقيها على خصره بفعله أصبحت روتينية، توجه خارجا وهو يقول "وأنا لديّ امرأة عنيدة حساسة، قاسية، جافة، هشة، ضعيفة وقوية شرسة تشعلني لننفجر كبركان تامو ماسيف"

أبعدت وجهها عنه لتقابل عينيه وهي تقول بضحكه مختنقة

"برود جسدك ليس سبب قوي لأوافقك على تلك ..تلك"

صمتت ولم تكمل بينما وجهها يتورد بتلقائية، أرسلت لسعة قوية ٍمن الرغبة الجامحة ضاربه اياه في الصميم، لتجعله يقر معترفا، هو يحب ذلك التمازج المتناقض والمجنون بها ..خجولة حساسة، وفور أن يبدأ في اكتساحها تصبح انثى حرة شرسه متوحشة في منحه دون أن تتنازل عن الأخذ منه!!!

وصل إلى حجرة صغيرة حولها لمرسم خاص به في جناحهم فهبط بها على ركبتيه ناحية ألوانه وهو يقول برغبة جامحه "أريدكِ مغطاة بألواني آيتان"

صدرها كان يهبط ويعلو بانفعال متسارع استسلمت لجنونه عندما طوقت عنقه بذراعيها تشده ليشرّف عليها ..شفتيها تتصارع مع شفتيه من منهم يأخذ من الأخر أولا من فيهم ستكون له الكلمة الاولى والمسيطرة وقالت "ومتى رفضت جنون فرشاتك؟؟"

حرر جيدها من شفتيه رفع رأسه وهو يحدق فيها لاهثاً ونيران الرغبة تلتهب في عينيه العسليتين وجسده الضخم يرتجف إثاره وهو يشعر بكل ذرة أنوثه في جسدها الذي يسحقه تحت ضغط جسده، فتذكره بحاجته لإيجاد نفسه فيها، نظر لعينيها العاصفتين فأخرسه ذلك التملك الشرس المنبعث منهما رغم

تورد وجهها المتناقض، أنفاسها اللاهثة تجبره أن يعود ليكتمها بتسلط، لأن يفرض سلطته وقيوده ..عاجز تماما عن تفسير ما يحدث له، عن التعاطي والفهم ،أين سيصل معها وما الذي يريده من جنونه المنفلت؟!!"

عندما أدارها بجموحه المعتاد ويديه توقع متعمدة ألوانه النقية حولهم فتغطى جسديهما المتعانقين بشراسه لونية يتقلب بها بموجة من المشاعر العاصفة التي علم جيدا أنها أكثر شيء أراده في حياته كلها، وليت تمرده لا يطوله مرة أخرى، فهو لا يريد أن يخسر كل شيء معها.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

"ربما يصدمك في نفسك الاعتراف أخيراً، أنك رغم قوتك التي تدعيها، ما أنت إلا بشر يماثل الطير الهش في ضعفه، يوجعكِ ذلك الشعور الداخلي بالألم أنك لم تكن قادرا على المواجهة يوما، أن تصل للإيمان بأنه رغم نجاحك على الصعيد العملي، يقابله فشلك وتوهانك في الجانب العاطفي، من الذي قال "أن سعيد الحظ في اللعب، فاشل في الحب "؟

اه لا تتذكر وليس مهم في الحقيقة أن تتذكر الأن ..يكفيها الأن ذلك الجرح الدامي الذي افتعله جلاء دون رحمة، وهو يوجه كلامه المسموع بطلقات سريعة من مدفعه الرشاش لمنتصف قلبها مباشرة ،أن تستشعر عدم أهميتها لديه شيء ، وأن تسمعه يتبجح بقولها شيء أخر قاسي مرير موجع يجعلها تريد أن تصرخ بمرارتها ربما تشعر الناس بها .

"هي لا شيء، مجرد نكرة لا تساوي شيء، حتى بعد أن أقنعها بأنها تساوي كل شيء، لقد كذب وها هي من خلف الباب المتواري تستمع لمخادعها الكاذب ومعدوم الضمير يقول لأمه ببرود صقيعي "أخبرتكِ، أن لا شيء يربطني بها، ولولا انها وجدت هوى في نفسي ما كنت لأتزوج منها."

ارتبكت آمال للحظات قبل ان تقول بخفوت وحرص "ولكن خلال تلك الأشهر القليلة، التي ربطتكم لم يصلنا ما تقول"

صمتت لبرهة قبل انٍ تردف بخجل انيق "لقد توقعت أن احمل أول احفادي قريبا جدا"

وقف جلاء يخبرها بجفاء "اعتذر منكِ امي، هذا حلم بعيد جداً، لم يتغير شيء في خططي، وقتما أريد أن اذهب سأذهب، أما ما يحدث بيني وبين آيتان هذا شيء خاص بيننا وليس بالضرورة أن يعني شيء أو أن اختياركِ أنتِ وابي دائما الأصح كما تتدعين"

لم تستطع أن تُكمل الاستماع وبخطوات مهتزة كانت تصعد لغرفتهم ولأول مرة تشعر بالجهل الحقيقي ماذا تفعل وإلى أينٍ ستصل معه، لقد وضع جلاء خط النهاية ولا شيء ..لا شيء أبدا قادر على إصلاح كلماته المميتة.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

رفع جلاء رأسه مجفلاً بل مبهوراً فكتم أنفاسه وهو يرى آيتان تدخل على أطراف أصابعها بحركات درامية إلى أن وقفت أمامه انحنت بتقويس قدميها في حركة باليه مشهورة قبل أن تقول بنبره غامضة "ما رأيك في حماقتي جلاء؟ هذا اخر رداء لي على المسرح، هل تذكر لقد قمنا بشراء تصميم مماثل لليلة عرسنا التي لم تتم؟"

ابتلع جلاء ريقه وهو يمشط طلتها الآسرة بفستان أبيض من القماش المنفوش ينتفخ حول وركيها ..وجزئه العلوي مصمم من قماش الدانتيل المخرم، رفع عيناه قليلا ليجدها تضع حول شعرها الكستنائي ما يشبه الطوق بريش بجع أبيض طويل رائع الجمال "مذهلة ، ملكة ..بجعة حقيقية خرجت من دفاتر "تشايكوفسكى"

دارت حول نفسها وهي تخبره "نعم أصدقك، بجعة بيضاء طيبة خرجت بأسطورية ولكن لا النقاء يستمر ولا الأسطورة الغبية

يمكن أن تُخلّد طالماٍ هناك دائماً أمير أناني يصر على اقتحام عالمها ثم إلقائها بعيدا"

عقد جلاء حاجبيه بغرابة ولم يستوعب حديثها، ثم قال "ما بكِ هل هناك ما يزعجكِ ؟!"

الوجع كبير ومؤلم يطغى على روحها ومشاعرها وتفكيرها المنطقي، فابتلعته مجبرة واقتربت منه لتجلس على ركبتيها بين ساقيه واتكأت بمرفقيها على ركبتيه رفعت وجهها تنظر لوجه المتحير، ثم همست متحشرجة "نعم يزعجني أني اكتشفت عدم إخباري لك يوما، بعشقي الكبير لك"

بصوت اخشوشن بالعاطفة همس باسمها ذاهلا متفاجئاً "آيتان"

اطلقت شهقة قصيرة وهي تنزع نظراتها من عينيه بينما تهمس "عندما ابتعدت عني رفضت أن ألحق بك ..لم أقوى على رؤية الرفض في عينيك، فلم استطع إلا أن أضع يدي على قلبي لثقتي أنه المكان الوحيد الصعب هروبك منه"

خفي صوتها أكثر قبل أن يتدرج باللون الأسود المؤلم وقالت "وعندما عدت أنت صدمنا باقتراحك العجيب، كنت وضعت خطتي بالفعل، لأجبرك على زواجك مني"

عادت للصمت مرة أخرى ورفعت وجهها تقابل وجهه المرتجف بالعاطفة، ثم قالت بعينين واسعتين ذاهلتين "ولكني تهت معك، أنا فقدت نفسي ومنطقي، أنا من نجحت في كل مجال وضعت فيه، ضعتٍ معك، وفقدت قلبي بين موجك الهادر الثائر اليائس أن يجد يوما شاطئ محدد يرسو اليه"

ما تقوله صدمه ..يؤلمه ..يوجعه يضعه أمام مرآة روحه معريا الضمير المعدم والروح القاسية، كيف استطاع أن يخبر أمه عنها كأنها لا شيء فقط ليثبت لهم أنهم مخطئين ؟ إن آيتان ستنجح علاقته بها لأنه يريدها ولأنه أحبها، لأنه رجلها وزوجها وشريك حياتها! كم هو وضيع كاذب يعود لظلمها بخسة ودناءة، حتى بعد أن تبجح وهو يخبرها أنها لا تمثل شيئا لديه ..بل اكتشف أنها كل شيء!!

رفعها سريعاً من ذراعيها وضمها إليه بتشدد، فبادلته عناق صامت، وهمس

"شاطئي فيكِ، حريتي، اختياري الحقيقي الذي لم أندم على شيء غير هروبي منه، فلا تتركيني أو تتخلي عني، حتى أجد نفسي وأعيدكِ معي"

تمتمت بخفوت عصر قلبه عصراً "هل أحببتني حقاً جلاء أم مجرد توافق جسدي وجدته بيننا ..أو أني استفز ذلك الجانب الصارخ فيك؟"

تراجع جلاء على الفراش بينما يسحبها فوق صدره يغرقها قبلات خشنة قاسية ومعذبه على طول جسدها، همسها المصر وتكرارها بما أخبرها إياه يوجعه ويهزه من الأعماق ..يهدد صلابته إذ يكاد للحظه أن يفقد نفسه ويخبرها مرارا بحبه ،وك لبؤة شرسة قاتلته تبعده عنها وكل ملامحها تتبدل بعنف يهفو إلى شيء ما وكأنها أتت لشيء محدد فضلت طريقها لدقائق وصمته هو أعادها لما تريد ..أحست بالضياع ..بين تمسكه الضمني بها وبين حديثه مع والدته الذي بعثرها لأشلاء صغيرة ..تذكرت كل ما فعلته به ..كل انتقامها عبر سنوات مضت فوجدته انتقام باهت ضعيف ليس له روح ولا معنى ..صدمتها حقيقية واحدة أنها كانت تنتقم من نفسها فيه ..

غمغمت بصوت عذب خافت وهي تنحني نحوه مرة أخرى تحجب عن عقلها تفكير ليس مرغوبا فيه وهي تخبره بإغواء مدروس "أنا لم أعد أريد اعترافك المتكرر بأني أشعل جسدك يا جلاء لم يعد يكفيني بل أريد المزيد والمزيد من اعترافك بضعفك نحوي"

ابتلع جلاء ريقة الذي جف والنار تنشب في عقله كما جسده ..اعترافه المختنق يريد أن يخرج ..يصرخ به ..نعم هي تتلاعب بتلابيب عقله هي امرأة انعكاس لجوع روحه ..امرأة وصلتٍ لنقطة لم تصلها امرأة قبلها قط إذ أنه لم يعشق غيرها يوما، جذب شعرها نحوه بخشونة قبل أن يحكم سيطرته على جسدها اللين ويعدلها بحركة سريعة تحته ويخبرها بنبرة حاره غير

مسيطرة بينما شفتاه تقتحم أنوثتها ..تلهبها بناريته فتطول شفتيها المعقودتين بإغراء وتنتقل لوجنتيها وتهبط ببطء على تلك البشرة الحنطية التي تذوب كل دفاعته فوقها "أنتِ أول شخص يتعمق في الغوص داخل أعماقي ..أشعر بكِ تتجولين داخل روحي الحبيسة بين أضلعي ..هل أقرأ عليكِ تعويذة من السحر خطها الجان حتى لا أتحرر منكِ ولا تتحررين مني يوما؟"

ارتجف جسده الضخم فوقها وهي يأسرها رافضاً محاولتها للتمرد وأخبرها "كنت مخطئ عندما أخبرتك بالاكتفاء بعلاقتنا الجسدية التي تشعل كلانا بتناغم موسيقي حالم متبادل بيننا ..لأنكِ لست هذا فقط أنتِ كل شيء يا آيتان زهرتي الجميلة البرية وفرشاتي الوحشية التي سأرسم بها مستقبلي القادم"

توحشت دواخل آيتان بتمرد فعادت بعنف لتتحرر منه و تزيحه عنها بعنف مقصود ..فترك لها هو السلطة راضيا أن يتحرك معها طواعية فألقى بنفسه على الفراش بينما يراقبها تقود العلاقة بينهم تعتلي جسده مشرفة عليه ..يدها فوق صدره تستشعر صخب قلبه النابض ..بينما يتسرب احساس دافئ يسري في أنحاء جسدها كاملا ..فينجرف لداخلها يحفر ممرات غير مرئيه في حقول روحها التي جفت وكرامتها التي فقدت فيرويها بدمه المتدفق ..فتزدهر بأزهار انتصارها التي لم تسمح له بأن يستشفه قط ..عاد مرة أخرى يأسر رأسها بين كفيه الضخمين يقربها منه بخفة ريشة فنان ليخبرها "أنتِ كل الالوان في حياتي آيتان .كل ألواني الصاخبة اختصرتها فيكِ ولم أعد أريد التمرد أو التوهان إلا بين شطآن عينيكِ"

ابتلعت آيتان ريقها بينما تمردها يجبرها على مواصلة لعبتها فانحنت هي تقبل عضلات بطنه الرياضية بتمهل وخط مستقيم بينما تسمع صخب انفاسه التي لم تعد أبدا منتظمة ...كانت قبلاتها خط من نار متوحش يلتهمه ..كانت تمنحه كعاشقة جريئة حره مسيطرة على كل نبضة وحركة تخرج منه

..أشرفت عليه تهمس أمام شفتيه ٍ بسؤال متكرر أصبح أضحوكة ساخرة إن لم يخبرها به أخيرا "هل تُحبني جلاء؟"

تباً كانت المتحكمة فيه قائدة ذلك اللقاء ..تشعل نار الحاجة بداخله فلم يملك إلا أن يسلمها مفتاح محرابه ..عندما أحاط خَصرها بذراعيه يجذبها نحوه يسكنها بداخله معانقا جسدها بجسده فقد كل المنطق وخططه بينما يخبرها معترفا لاهثا "نعم أحبكِ ..لطالما كنت أحبك أنتِ ..وكنت انتقم مني فيكِ ..بكل يوم وليلة كان الشوق إليكِ يحملني ويرميني ضعيف مسلوب الإرادة أمام سحركِ ..أنتِ روحي عشقي وجنوني ..وملهمة تمردي وخطوط ألواني"

وبخفه فراشة منجذبة للنار احترقت معه دون أن تنسى أن تحرقه معها ..وبروح راقصة بالية درامية رقصت على جسده ببراعة ..تتناغم انفاسهما بموسيقاها المتمردة ..وبين عيناها فرشاته الوحشية بألوانه الصارخة ..وكلمة النهاية كانت من القوة أن تضعها هي ..مرارا وتكررا طول ليلتهم لم تتنازل عن فرض قوتها والضرب بفرشاته الوحشية على مواطن ضعفه فيها ،وعندما انتهي غرامهم العنيف كانت منقطعة الانفاس مستنزفة الروح والجسد، فضمها هو إليه رافضا تماما أن يفلتها عندما أبدت محاوله لا تذكر للخروج من فراشه، فضمها إليه مانحا إياها صدره وسادة ،وذراعيه موطنًا، وهدير قلبه المترافق مع همسه الأجش بعشقها، تعزيه لروحها المغدورة "حتى وإن كان أحبها لا يستحق أبدا أن تهدر نفسها معه أكثر ..علاج جلاء الشرب من كأس دائه وهي ستمنحه ذلك العقار حتى وإن حُرمت منه!!!

وعندما استيقظ جلاء صباحاً يبحث عن جنيته وامرأته ..وجد فراشه خالي بارد ،متجمد فتناول سرواله من حيث ألقاه أثناء معركتهم لا وصالهم كما اعتقد!! وصوت دقات الخطر يعلو بصخب داخل فؤاده خرج متلمسا طريقه نحو بهو السلم فصدمته عينا أمه الباكية بأول درجات السلم ووجه والده الذي علته الخيبة والاتهام بينما نظراتهم معلقه على شيء ما خلفه

فرشاة وحشية.. نوربلاك

..التفت جلاء بعدم فهم وسرعان ما شعر بتلك الرصاصة تخترق صدره بينما وجهه يبهت بصدمه لقد فعلتها متوحشته عبر جملة قصيرة تركتها على لوحته التي تخلى فيها عن كل مبادئ مدرسته ورسمها من أجلها ..وبنفس صخب ألوانه كنت تخط بفرشاته

"تباً لك جلاء ..فلتذهب إلى الجحيم انت وقلبك ومشاعرك ..أريد الطلاق مهلتك انتهت معي وفرغت من انتقامي من ذلك الطفل الساذج"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

الفصل الاخير والخاتمة:

كانت آيتان تتكور حول نفسها فوق المقعد الواسع في بيت خالها الصيفي بالسويد، بعد أن تركت جلاء وكل شيء ورائها وتوجهت له مباشرة، شعرت بالأريكة تنخفض بجانبها بسبب ثقل جسد آصف الذي مد لها كوب من القهوة المثلجة وهو يقول بهدوء مباشرة "مر يومان و للأن أنتِ ترفضين الحديث معي ..مصرة بصلابة رأسكِ أن كل شيء انتهى بينكما"

ارتجفت أناملها حول الكوب البارد واخبرته بشرود "نعم هذا أنسب حل، لا مزيد من هدر النفس معه، ربما رؤيته لمعاني فحوى رسالته القديمة تجعله يشعر بالداء الذي كان يعاني منه"

مد آصف جسده للإمام وشبك كفيه ببعضهم ومد فمه للأمام باستهجان بينما يقول مدعي التفهم "وأنتِ تلك الطبيبة الماهرة التي ستشفيه فقررتِ تعريضه لصدمة رسالته القديمة ولكن فسرتيها له بفكركِ الخاص"

ألقت آيتان رأسها للوراء بتعب ثم ما لبثت أن قالت "ربما رسالتهِ هو كإن يحاول تصنع اللطف فيها، ولكن ما وصل لي حقيقة أنها تبا لي ولقلبي ..وعندما تركت له طلبي أردته أن يرى نفسه الحقيقية لعل وعسى يعود أخيرا عن جنونه"

قال بهدوء "اسمعي آيتان لأخر مرة أخبركِ كُفي عن تصنع الغباء، موجة الانتقام تلك يجب أن تنتهي، لسبب بسيط أنتِ تكذبين على نفسكِ و لن تستطيعي شطبه من قلبكِ وعقلكِ بسهولة هكذا ..لذا كفى جرحا لنفسكِ وفكري قليلا بشكل أكثر إيجابية"

خبط عنيف متعجل على الباب قطع حديثه ..فنظرت له متسائلة، وقف آصف وهو يتوجه نحوه قائلا بجهل "لا أعرف من!!فلا أحد يعرف طريق هذا المنزل ."

فتح الباب فرفع حاجبيه متعجب من ذلك الإعصار الجامح الذي أبعده بحدة واقتحم المنزل مباشرة، لم يقدم آصف على أي عمل يُذكر متفهما جدا ثورة الأخر ..في الحقيقة لو أنه مكانه

واستيقظ يوما ليجد زوجته هجرته ،سيطاردها لأخر العالم ،ثم يقطع رأسها الجميل بيديه!!!!

فتحت آيتان عيناها على اتساعهم وهي تحدق في وجه جلاء المحمر بالغضب، غير مهندم المظهر مرهق الوجه وأنفاسه تخرج مشتعلة غاضبه وقال "هل هذا أخر انتقام غبي لديكِ، أن تنتظري عودتي لكل شيء ثم تضربين ضربتكِ؟"

وكأنها خمسون جالوناً من البنزين الحارق الذي ينتظر فقط شرارة واحدة ليشتعل وينفجر فيمن حوله عندما صرخت فيه مندفعة "لا أحد هنا غبي إلا أنت على فكرة، أنا لم أسعى للانتقام منك بل أريد الطلاقِ، تحريرك مني كما اشترط عقد الزواج حتى لا تدفع لي مالا، وأمنحك الفرصة لتذهب لدجينة هانم بنت الحسب المتشردة مثلك"

جز على أسنانه وقال بفظاظة ساخرة "وأنتِ بنت الأصول راقية التعامل التي تظل طوال الليل تنصهر بين ذراعي زوجها تطالبه بفرض سيطرتها ثم تستغل لحظات ضعفه وبعدها تفر من فراشه"

نحنه خشنة خرجت من آصف وهو يقول بلطف "أنا هنا، ولا يسعدني اطلاقا ما تشيران إليه"

لم يلتفت أحدهم لتدخله واقتربت آيتان منه ودبت بكلتا كفيها على صدره تخبره بحنق محتد "أي زوجة تلك، هل تقصد من سخرت منها ومن علاقتك بها مع أمك؟ أم الغبية التي تستغل عاطفتها وتكتفي بالقول أنك لا تريد منها أكثر من توافق جسدي، تلك التي تعجز أن تضحي من أجلها بأي شيء، في حين منحت دجينة كل شيء ..كل شيء ..حمايتك ..حنيتك .. دفئك وعطفك وأخيراً الرجوع لقيود أبيك من أجل أن تحميها؟!!!

هنا تدخل آصف بحسم وهو يقول بسيطرة جافة "أخرجِا دجينةٍ من حساباتكما، هي لا تعنى لذلك الأحمق زوجكِ شيئا اطلاقا، وأنتِ يا محدودة العقل يجب أن تكوني علمتي بهذا"

التفت الاثنان اليه في نفس واحد ناظرين إليه باستنكار متعجب، فعاد لهز كتفيه العريضتين ببرود وهو يسحب مفاتيحه من على منضدة صغيرة بجانب الباب، ثم خرج مغلقا الباب وراءه ليمنحهم الخلوة المناسبة، إنه يتمنى فقط أن لا ينتهى ذلك النزاع بينهم فوق فراشه بالتأكيد لن يستطع تخيل ..أرجع رأسه للخلف مجفلا ..مجرد التفكير بالأمر يعد تطرف فكري منفر!!

❖❖❖❖❖❖

"دجينة لا تعني لي شيء اطلاقاً أنتِ امرأة غبية آيتان، إن كانت تعنِ لي شيء لم أكن لأغيب عنها كل هذه الشهور، وأنا غارق بالعاطفة بين ذراعيكِ، يا إلهي أنا نسيتها تماما في جبل سانت كاترين، مكتفيا بإرسال بعض المال لها"

عادت تصرخ فيه بغضب وغيرة "ولكنك أردتها وضحيت من أجلها"

بصوت هزه القهر قال "لا أردت مساعدتها لأني رأيت جلاء التائه فيها، حميتها من الضياع بدول الغرب خفت أن يستغل أحدهم طيبتها وساذجتها الحالمة وسط موسيقاها، لم أفكر فيها مطلقا حتى كأنثى، أتصدقين؟"

كانت مستفزة فأخبرته متهكمة "بالطبع لا ..لا اصدقك أبداً، وكأني لم اراقبك لأعوام وأعرف كل تصرفاتك المنحلة المنحطة الأاااا"

قبض على كفيها بين كفيه وهو يقول غاضباً "أنتِ تعلمين أن دجينة ليست مصدر مشكلة أو حديث بيننا"

ساد صمت بينهما ثقيلا إلا من صوت أنفاسهما العنيفة ..اقترب منها وحدقتيه تتحول لجمرتين من النار المشتعل بينما احساس بأطرافها المرتعشة بين يديه، جعل قلبه يرتعش في ردة فعل تلقائية شوقاً إليها

فأكمل بصوت مكتوم "عندما قُلت ما قُلته لأمي كانت مجرد مهاترات غبية، محاولة واهية للدفاع عن وجهة نظري ..لقد فرضكِ عزيز منذ البداية وكان صعب عليّ الإقرار أن اختيارهم صحيح بل هو كل الصحيح في العالم"

شحب وجهها وقالت "عن أي حديث تتكلم أنا لا أفهم"

لم يستطع منع نفسه أكثر من لمسها، أمسك بذراعيها يهزها لعلها تفيق من جنونها قائلا "أنتِ سمعتي كل كلمة جرت بيننا، أنتِ علمتي أنى اخبرتها أنكِ لا شيء وأني سأعود لفرنسا وأتركك، وكم كنت أنا أحمقا وغبيا"

صمت للحظة ثم أضاف باستهجان "أنتِ اعترفتِ للتو أنكِ تعرفين حديثي معها، إن جنونكِ يجعلكِ لا تعرفين ما تتفوهين به"

حاولت التملص منه قائلة من بين أسنانها متجنبه تهكمه "تدهشني معرفتك معدل ذكائك الحقيقي، وهذا يوصلنا لنتيجة واحده الطلاق"

وضع يده على فمها بعنف يكتمه ..ثم قال بغضب متفجر بنيران ثورته جازا على اسنانه "ملعون غبائكِ ولسانكِ ..أنا لن أحررك ، لن أطلقكِ، أنا أحبكِ يا غبية"

بُهت وجه آيتان وانسحبت الدماء من وجهها برد فعل غريب فتوقفت عن مقاومته تحدق في وجهه المتعرق وعروق عنقه النافرة من فرط عصبيته أنفاسه تخرج مشتعلة، جز على أسنانه أكثر وقال فاقدا اعصابه "كل هذا لا يهم، لم يعد مهما لا صراعي ولا إيجاد نفسي، ولا حتى انتقامكِ الغبي

"أنا أحبكِ، لطالما أحببتك منذ أربعة أعوام وربما قبلها وأنا أُحبكِ ..أحبكِ ..أحبكِ"

لقد وصل لنقطة الانفجار عبر تكراره الاعتراف بحبها فانفلتت أعصابه وهو يهزها بعنف علها تستوعب فقدانه لسيطرته ..لم يمنحها الوقت لاستيعاب الرد وهو يرى تشوشها الواضح فقرر أن

ينتقم منها بطريقته الخاصة ..فسحبها إليه وكتم أنفاسها بفمه ولم تقاومه، مصدومة غاضبة مستنكرة ومجفلة مرتجفة حتى الأعماق، كانت قبلته المفتاح الذي أعاد إليها ذلك الشعور المرهق الذي يصرخ بالحاجة لذراعيهِ، للشعور بأنوثتها ، لعودة كرامتها ..لتأكيد أنها لم تكن كما مهملا لم يستحق حبه أو تضحيته.

حررها أخيراً ونظر اليها متلاحق الأنفاس فجعلها إدراكها لضعفه الشديد نحوها ولاعترافه المتكرر بحبها وعدم اهتمامه بأي شيء إلا عودتها إليه ترتجف تأثرا وقلبها المتألم يدق طبوله على استحياء طالبا الأمل.

قال بصوت أجش "أنا أحبكِ، أريدكِ زوجة، ام، حبيبة، صاحبة تنشلني من غيابات نفسي المظلمة .. أنا أحبكِ ولا أريد امرأة سواكِ .. ستقف حياتي بين ذراعيكِ لأني لم أعد استطعم أي شيء دون أن ترفرف روحكِ حولي ..أنا أحبكِ آيتان وأريد حياة معكِ ،حياة غير مملة تصارعيني فيها ترفضين قيودي التي سأفرضها وتمنحيني ذلك الشعور بحريتي بين ذراعيكِ ، أريدكِ أما لي قبل أطفالي آيتان"

تمتمت بتوتر مشوشة "يا إلهي توقف فقط توقف أنا احتاج لبعض الوقت لاستيعاب ما تتفوه به"

التفت حول نفسها في نصف دائرة بعجز كأنها تبحث عن أي شيء ..أي جمله لمجابهته فعجزت ببساطة لن تجد.

لوى فمه بابتسامة جانبية ماكرة جعلت قلبها يتلوى بين أضلعها عندما أحاطت ذراعيه خَصرها ليعيدها لدفء صدره وهو يقول

"ما رأيكِ أن نقحمه في عقلكِ بطريقة أخرى أنتِ سريعة التعلم فيها بشكل مبهر وملهم!"

قالت بجفاف رغم ذوابان نفسها الخائنة بين ذراعيه "لا أريد، سأفكر وحدي في الامر وبالنهاية سأطردك أكيد"

لم يهتم كثيرا لإجابتها ورفعها بين ذراعيه يبحث في البيت سريعا وهو يقول بلا اهتمام "دليني على غرفة لها مفتاح بدلا أن أجبركِ هنا وبالتأكيد ذلك الضخم الغامض لن يعجبه ما سيراه"

"أنزلني"

قالتها بنزق فهز رأسه برفض ولمح غرفة صغيرة بنهاية الردهة فتوجه اليها وقال ببساطة "أريد تخديركِ مؤقتا، أحتاج هذا الأن، لمنحكِ الفرصة للتفكير بجولة أخرى نطحن بعضنا فيها"

أغلق الباب بقدمه وتوجه سريعاً للسرير الضيق وكعادته التي درب نفسه جيدا عليها كان يمزق بلوزتها وينضم إليها ولكن هذه المرة كان مُصرا أن يهمس باسمها مرارا ..هاتفا ومعترفا بحبه وغرامه المحترق"

بعد وقت طويل كانت تنظر له بأنفاس متقطعة وقالت بيأس

"هذا لن يُفلح ما نفعله ليس حلاً أبداً لنزاعاتنا"

رغم عنف أنفاسه التي لم تهدأ بعد أخبرها وهو يتلمس بشفتيه كتفيها العاريتين من تحت المفرش

"لا لن يُفلح، ولكن أنا وأنتِ من النضج أن نعلم أن كل تلك المشاعر لا يمكنها أن تأتى من شخصين لا يريدان بعضهما"

استلقى بجانبها ثم ما لبث أن أدارها بين ذراعيه ليضمها الى صدره وهو يقول بنبرة خشنة يداري ألمه فيها

"الصفعة كانت قوية آيتان حتى هذه اللحظة لم أفق من ذهولي وصدمتي، أنا لم أذق طعم النوم أو الراحة منذ يومين كاملين، الجنون تملكني حتى أني توسلت عزيز لأول مرة لأعرف أين مكانكِ"

أغلقت آيتان جفنيها فانسابت دموع لا تعرف أسبابها، ثم قالت بتهدج "اجمع كل مشاعرك تلك وتخيل صدمتي أنا ووجعي عندما علمت بهروبك مني برسالتك الجافة وبحجتك المجحفة لتركي"

انحنى برأسه يلتقط ملوحة دمعتها بشفتيه وهو يتمتم "أنا أسف حبيبتي، أسف لأني لم أدرك مقدار حبكِ في قلبي،"

بحسرة أخبرته هامسة "وما الذي سيفعله الأسف لقد سرقت مني ليلة زفافي مرتين ولم تترك لي غير الخيبة والوجع كل مرة"

تنهد جلاء طويلاً مكتفياً بضمها إليه، ربما صخب قلبهِ الذي يهدر صارخا بحبها قد يشعرها بمقدار ندمه وحبه متوعدا داخل نفسه انه سيفعل المستحيل ليعوضها، عن كل ما لاقته منه.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

في ليلة حالمة بذل المستحيل من أجل أن يفعلها لها وبين أضواء برج إيفل المتلألئة وقف جلاء في قلب البرج بين أطراف قواعده الأربعة ، يبتسم بتشجيع لآيتان التي هبطت من سيارة بدائية من الخشب تظلل برسوم أسطورية وفى مقدمتها رأس بجعه بيضاء ، وقد صمم أن يجعل جوادين في مقدمة العربة، هبطت آيتان بحرص على درجتي السلم التي بسطها أمامها السائق تنظر بتوتر نحو جلاء، اقترب منها خطوات أخرى مشجعا بينما يتأمل فستانها البنفسجي الواسع بطبقات كثيفه يتخلله شريط من اللون الأصفر ربطته بعقده بسيطة على خَصرها، بينما شعرها الكستنائي الكثيف رفعت منه خصلتين للأعلى وشبكتهم بشريطة عريضة من اللون الأحمر ليسترسل الباقي يغطى ظهرها ، تملكتها الشجاعة أخيرا وهى تخطو نحوه ببطء وتمهل تحتل وجهها ابتسامة سعيدة مختنقة بينما دموع الفرحة تحجب الرؤيا أمامها ، قابلته في المنتصف تماما وأخبرها "الليلة فقط أستطيع أن اقول مبارك يا عروسي"

واجهته بابتسامة خطفت قلبه، فهمست مازحه "أنت تصر على افساد الزفاف الثالث، على ما يبدو أين حذائك؟"

كانت عيناها تمتلئان فتنة طاغية جعلت قلبه يهدر في صدره وهو يرد مفسرا "أردت ليلتنا مميزة كل منا يتجرد من قيوده ويكون على حقيقته بجعتي البنفسجية"

أخفضت آيتان نظراتها تتأمل بدلته البسيطة الغير متكلفة وقدميه الحافيتين، شعره الاشقر المشعث بغوغائية فبدا بريء، طبيعي متحرر كما يحب أن يطلق على نفسه ..ادعت السخط وهى تقول "بل أنت تصر على ازعاجي ،انتبه أنا لم أمنحك السماح بعد"

جذبها جلاء لنقطه معينه قصدها من البداية وفِي قلب برج ايفل ..وبنفس أجواء موقعهم القديم ،عندما أجبرها على منحه أول قبلة ..

كان يهمس بنبرة أجشه خافته لمست جدار قلبها العاصي فزلزلت حصونه وجعلته يشتعل كأضواء البرج المتلألئة بسحره فوقهم ..فتعزلهم ..في دوامة عشقية خاصه بهما

"أه لو تعلمين كم قلبي ساخط عليّ كلي لأنكِ حاقده عليّ ..أنتِ البعيدة القريبة والقريبة البعيدة ..الساكنة ..المهاجرة ،أنتِ بعضُ منى ..فأعديني لي!!"

رفعت كفيها تحاوط وجهه وأخبرته بهمس دافئ "لم أعد أتذكر حتى سبب غضبي منك، أحبك جلاء وكل ما أريده منك ألا تتركني مرة أخرى"

ضحك ضحكه خرجت من قلبه الضائع والذي وجد اخيراً جزء من نفسه فيها بل كل روحه معها، انحنى بجذعه يضم خَصرها بذراعيه يدفن رأسه في عنقها فطوقت ذراعيها عنقه بتلقائية ودفنت رأسها في كتفه، ودار بها في دوامة مشعة تنثر السعادة على كل الجمهور الذي راقبهم وأصواتهم تخرج مهللة مباركه للعروسين ولم يتوقف جلاء عن دورانه بها فيرفل فستانها الواسع بطياته المتعددة بحثيث مبهج حتى التهم جسديهما المتعانقين ..صرخ جلاء يكرر حبه المتمرد لمتوحشته

"أحبكِ يا برتقالية"

أرجعت آيتان رأسها وبهجته تتسلل إليها فتزيد وجهها فتنه طاغية وهي تقول بنبرة متقطعة من خلال دائرته التي لم تتوقف

"ماذا تبقى عندك من ألوان ستلقبني بها؟"

غمز بعينيه وأطراف فستانها تحتوى جسده معها فقال وهو يلهث من فرط دورانه وسعادته "أنتِ امرأة ملونة متعددة الأرواح، الليلة أنتِ برتقالية تشعين دفء وسعادة ..عطائكِ يتخلل روحي آيتان ويجعلني أثق أننا تخطينا الأزمة"

توقف جلاء أخيرا بأنفاس متقطعة فأمسكت آيتان فكه بأناملها، وهي تهمس بعينين سكنهم الشغف والدفء "وأنت لوني البني، لون الحنين إلى الماضي وفعل المستحيل لإيجاد المستقبل، لون الأرض والجبال والخشب، أنت نغمات الأرض بدرجاتها اللونية التي تجمع بداخلها كل شيء، أنت زرعت بداخلي شيئا صعب أن أحكي عنه"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

خلع جلاء معطفه ووضعه على كتفي آيتان ثم وضع قبلة على وجنتها قال بتردد "لديّ مكالمة ملحة سأنتهى منها وأعود إليك"

رغم اهتزاز ابتسامته أومأت بلطف، واستدارت تسند كفيها على سُوَر نهر السين مانحه إياه العزلة التي يحتاجها"

أخذ جلاء نفس عميق وهو يجرى ذلك الاتصال الذي يتهرب منه، شعور بالذنب والمسؤولية ولكن الأمر أصبح مفروغا منه هو لن يستطع أن يفي بوعده لدجينة وهي من الحنكة والعقل أن تعلم بهذا، منذ أول مكالمة بينهم أخبرها بحبه الحقيقي لآيتان كانت هي تجيبه بهدوء واستشعر ابتسامة حقيقية ارتسمت على محياها البريء "أعلم جلاء منذ أن سألت من تلك المرأة التي تظهر في لوحاتك بأنها شطر روحك الضائع"

صوتها كان مرتبك وهي تجيبه سريعاً بخفوت "مرحباً، اسفة لإزعاجك في ليلتك تلك ولكن رابط الصداقة الوثيق بيننا أجبرني أن أخبرك برحيلي"

أجابها بلطف "أنتِ تستطيعين دائماً ازعاجي في أي وقت"

همساتها كانت مختنقة وهي تقول "جلاء أنا كما أخبرتك سأترك نيس الليلة بل فرنسا كلها، عوني المنصوري علم أنك الوحيد الذي أمنحه ثقتي لذا يجب أن ابتعد عنك نهائيا"

حاول أن يطمئنها يجدد وعده لها بالحماية وهو يقول "دجينة عزيزتي، أخبرتكِ بأن مكانكِ الجديد آمن تماما وأنا كفيل بكِ، أنتِ لن تستطيعي مواجهة الغرب وبشاعته وحدكِ"

بصوت خفيض ولكنه حاسم وكأن هناك قوة ما تجبرها على قرارها "لا أريد يا جلاء وأستطيع حماية نفسي، أوربا ليست غريبة عليّ لقد ولدت وترعرعت فيها منذ ثلاث وعشرون سنة، لذا بحق صداقتنا أنا أطالبك أن تجعلني أجد طريقي وحدي ربما أرسو لبر يرضيني أخيرا"

رغم رفضه الشديد ولكنه كان يعلم أنه مهما قال أو اعترض لن يغير رأيها، لذا أخذ نفساً عميقا ثم ما لبث أن قال بلطف "تذكري فقط أنى دائما هنا من أجلكِ وسأهرع لمساعدتكِ فور أن تطلبي"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أغلقت دجينة الهاتف وضعته في حجرها، وهي تفركٍ أناملها بتوتر، أنامل غليظة امتدت تمسك بطرف ذقنها، سامحا لعينيها الخضراوين بالنظر إليه وهو يقول بنبرة أجشه مسيطرة "هذا أفضل للجميع صدقيني"

هزت رأسها وهي تقول بصوت خفيض متلعثم "لا يهم، فقط تحرك وغادر من هنا"

أبعد يده عنها يمسك بالمقود بقوة قبل أن يسألها "هل تثقين بي دجينة؟!"

اختنق صوتها بالبكاء وهي تقول بيأسٍ جازم

" لا ..أشعر أني ألقي بنفسي في الجحيم"

نظر اليها طويلاً، ثم ما لبث أن قال بغموض

"جيد ..أكثر من جيد حافظي على شعوركِ هذا"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

هز جلاء رأسه بحيرة وهو ينظر لقفله القديم الذي وضعه منذ سنوات ليجد فوقه، أربعة أقفال صغيرة صدئة تمنحه شكل عجيب بين كل أقفال العاشقين ..رفع رأسه من جلسته على ركبتيه فأطل عليه وجه آيتان الذي تلون بالخجل وهي تعض شفتيها وكأنها ضبطت بالجرم المشهود ..اعتدل جلاء دون أن ينزع عينيه عنها فطوق كتفيها بذراعه وهو يقول ببساطة "لم يعد هناك شيء يصدمني معكِ ، أربعة أقفال يا مجنونة ؟! تأتى هنا لتعذبي نفسكِ بوضعها بدلاً أن توجهيها لي وتقحمين تلك الأقفال في رأسي الصدئ"

ضحكت بنعومة ورأسها يميل على كتفه، ثم قالت

"لا، أنا أعذبك أنتقم منك ولكن كنت أحتاج رأسك سليم لنعيد هيكلته وتتزوجني"

غمز بعينه وهو يقول باستفزاز "لم أكن أعلم أنكِ يائسة لهذا الحد"

مدت شفتيها، ثم استطالت وقبلت فمه بخفه قبل أن تقول بدلال رافض محاولته لغيظها "دعنا نسميها إدمان، أنا كنت مدمنة لعشقك وأحتاج بشدة لجرعات من قلبك"

همس بخفوت حار جانب أذنها "لديّ جرعات أفضل من قلبي تحترق للخروج الأن، في ورشتي ووسط ألواني"

تورد وجهها وهي تقول مجارية وقاحته "وما الذي يمنعك، هل كان من الضروري أن نأتي لهذا القفل الغبي؟"

أبعدها عنه لبرهة، ثم أخرج من جيب بنطاله مفتاح صغير فرده أمام عينيها وهو يقول بهمس عاشق "لقد تأخرت أربع سنوات في إلقائه ..كنت أريد التأكد"

سألته بحنان وهي تنظر لعينيه التي مازال أثر التوهان فيها "يكفيني أنك هنا معي جلاء، لا تستعجل شيء وخذ وقت حبيبي"

رد وهو يقترب منها يلثم شفتيها بشغف حار وقال "أنتِ لم تعودي نبضة حائره آيتان"

وبدون تردد كان يرفع ذراعه ويلقي المفتاح في نهر السين مباشرة، ثم عاد يضمها اليه بقوة يهمس بشعر لنزار قباني

"يا سيّدتي: كنتِ أهم امرأة في تاريخي قبل رحيل العامْ. أنتِ الآنَ أهمُّ امرأة بعد ولادة هذا العامْ ..أنتِ امرأة لا أحسبها بالساعاتِ وبالأيّامْ. أنتِ امرأة صُنعَت من فاكهة الشِّعرِ ..ومن ذهب الأحلامْ ..أنتِ امرأة كانت تسكن جسدي قبل مِلايينَ الأعوامْ ..يا سيّدتي: يا المغزولة من قطنٍ وغمامْ. يا أمطارا من ياقوتٍ ..يا أنهارا من نهوندٍ ..يا غاباتِ رخَام ..يا من تسبح كالأسماكِ بماءِ القلبِ ..وتسكنُ في العينينِ كسربِ حمامْ. لن يتغيرَ شيءٌ في عاطفتي ..في إحساسي ..في وجداني ..في إيماني ..فأنا سوف أظلُّ على دين الإسلامْ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

بعد مرور ستة أشهر:

دخل جلاء جناحه وهو يزفر بتعب ألقى بملابسه بغوغائية أصبحت معتادة لزوجته التي تجلس على الفراش حولها عدة أوراق لصفقة عملا عليها سويا وأوكلها جلاء بدراسة نقاط الضعف فيها،

أستوقفه مظهرها الساحر وهي تجلس مربعة القدمين تمسك في إحدى يديها شريحة من التوست تقضمها بعدم انتباه، فقط منحته نظرة ممتعضة سريعة وعادت لما تفعله، مشطت عيناه قدميها الحافتين والتي يبدو أنها لم تتخلص من أثار ألوان ليلة أمس بعد أن أجبرها تقريبا ليرسم على بطنها بألوانه المتطرفة، قبل أن يغرقها كلها بها ويأخذها معه في جولة عاصفة، فأجبرته بالطبع على القسم بالترفق والحذر من أجل جنينه الساكن أحشائها.

صعد قليلاً بنظراته يراقب جسدها النحيف الذي لم يفقد رشاقته رغم ذلك البطن الصغير المتكور بانسيابية خطفت أنفاسه، لا يعلم تحديدا كيف تمتلك آيتان ذلك التناسق حتى وهي تحمل طفلهم منذ ستة أشهر، جلس بجانبها وهو يجذب معصمها بعناد يقرب الشريحة من فمه وهو يخبرها

"اشتقت إليكِ يا برتقالية"

جذبت يدها منه بروح قتالية معتادة وهي تقول "كُف عن مناداتي بألوانك يكفيني دلال طفلك الذي يجبرني كل بضعة أيام على الرقود في الفراش"

استمر في مشاكستها فوضع رأسه في حجرها ووجهه نحو بطنها يلثمها بخفه وهو يقول بوقاحة متعمدة "وما دخل ابني الأن؟ بل أنتِ تُستنزفين تماما حبيبتي بعد كل ليلة عاصفة تطلقين فيها بريتكِ على أرض ورشتي"

زمجرت في وجهه وهي تحاول أن تبعده عنها، فضم خَصرها بذراعيه وهو يقول مهادنا "أمزح معكِ لا تنفعلي هكذا حبيبتي"

أطلقت آيتان زفره متعبة وهي تقول "هل يمكنك إبعاد تلك الأوراق أريد أن أسترخي قليلا أنا حقا متعبة"

امتثل لطلبها وهو يراقبها تتمدد وتمد يدها تعانق جنينهما بحرص ،متذكرا صراعه وعقدته الأزلية مع والده الذي يريد أن يفرض سيطرته حتى على اسم طفلهم ، لقد تصدي له بالطبع وأخبره أن شأن طفلهم لا يعني سواهما ،تنهد جلاء بينما

يتركها ترتاح قليلاً ، وتوجه نحو الحمام ربما استحمام سريع سيهدئ أفكاره، منذ أن عادا من فرنسا تغير كل شيء بينه وبينها مازالا بالطبع يتلمسان خطواتهما نحو سعادتهما بحرص وحذر ، ولكنه وصل معها لانضباط انفعاله بل يستطيع القول لمنطقة مرضيه تماما له "للتوازن الذي كان ينشده ، حتى في العمل لم يعد يلتفت لأوامر عزيز ..بل مستمرا في طريقه نحو النجاح واسم يستعيده ويصنعه لنفسه بنفسه ، أما هوايته يكتفي أن يمارسها في الورشة الصغيرة التي أنشأها في جناحه، مجرد معتزل صغير عن والديه ،لقد فكر أن يترك البيت ويستقل بحياته ولكن آيتان رفضت الفكرة وقلب أمه انفطر لمجرد الاقتراح ، فقام بالتضحية من أجلهم وعاد ليتحمل برود والده ومشاعره الصخرية ،ربما في الماضي لم يتحمل أفعاله ولكن الأن لديه هدف ويقين أنه سينجح من أجل نفسه وبنفسجتيه التي هدأت نيرانها وعادت لتسلمه روحها بقلب عاشقة

❖❖❖❖❖❖❖❖

آيتان حبيبتي، يكفي نُعاس"

تمتمت آيتان بهمس "اتركني جلاء قليلا أحتاج حقاً للنوم"

داعب خصلات شعرها وهو يميل يقبل جبهتها ويحتويها كلها بين ذراعيه ثم ما لبث أن قال "لديّ هدية مقدمة بمناسبة ولادتكِ"

جعدت آيتان حاجبيها بينما تخبره بتثاؤب "هل توقظني من أجل هدية؟ أنت مختل حقا"

وضع جلاء عقدا على بطنها، ثم ما لبث أن قال بصبر "اسمعي يا حمقاء، هذا هو العقد الذي وقعتي عليه بأمر عزيز منذ شهور، لقد انتزعته منه، بعد سجال استمر لساعات وانتهى بصراخه واتهامي المعتاد بالغباء والفشل، وبدلاً أن تعوضيني ها أنتِ...."

قاطعته سريعا وهي تعتدل وتشهق بصدمة أمسكت العقد بين يديها لتخبره "ماذا؟ هل جننت جلاء، كيف تخاطر بحقك؟"

سحبها برقة لتعود تستكين على صدره ثم قال بهدوء "لا أنا في قمة تعقلي كل ما هنالك أن المرأة التي أحب لن أخذ عليها مجرد ضمان لعدم تركي"

تلون وجهها وهي تدس وجهها بين طيات قميصه، ثم ما لبثت أن قالت بتردد خجل "لا حبيبي عقد الزواج ينص على أن طلقتني أنت ستكون مجبر لدفع مال يوازي نصيبك في شركة والدك"

رغم امتعاضه من تفكيرهم المتطرف الا أن جلاء كان موقنا بأن فعلتها كانت تنبع من قمة ألمها لذا وقف من مكانه ثم انحنى يوازن جسدها بين ذراعيه وتوجه نحو ورشته وهو يقول بنبره عادية هادئة وكأنه يحدثها عن اخبار الطقس "وهذا العقد أجبركِ عليه عزيز بعقلية رجال الأعمال المتحجرة ليضمن حقي، ولكن أنا اخذت كل حقي فيكِ فلم أعد أريد إلا أنتِ، ذلك الشرط كان يؤمنكِ ضد طلاقي لكِ، وأنا أخبرتكِ يا متوحشة أني شاري حتى النخاع ولن أبيعكِ أبدا ..لذا كل هذا ليس له قيمة"

تحسست نبض قلبه بشفتيها وهي تطلق زفرة ارتياح تخبره "أنا بحاجة إليك بجانبي دائما، فلا تغير أي شيء مرة أخرى ارجوك، حبك كان الدعوة والهداية، عشقك كان الأمان المنشود، حبك هو أجنحتي التي تأخذني بعيدا عن الأرض، هو رقصتي الدرامية الهاربة التي تجعلني ألج لممالك السحر".

انزلها على الأرض الغارقة بالألوان فانحنى برأسه يسندها على وجهها المرفوع إليه بينما يهمس أمام شفتيها وعيناه متحدة في عينيها "حبكِ كان النور الوليد الذي رافق طريقي المظلم، فحارب صرخات فني، وهزم توحش فرشاتي، وهذب توهان روحي، حبكِ جنة، لن يعرفها أبدا غيري"

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

السويد غوتنبرغ:

في كوخ صيفي يقع على أطراف المدينة، بين أراضي الزهور المترامية،

كانت شمس الصباح نادرة الظهور تتسلل باستحياء على الجسد الضئيل المستنفذ والقلب والمشاعر حتى أخر قطرة من طاقتها رغم مرور ساعة أو أكثر على انتهاء تلك العاصفة التي حاصرتها كفأر مذعور وجده قط ضخم شرس عديم الرحمة "رباااه ماذا فعلت بنفسي كيف سمحت له، كيف أجبرني على تلك العاطفة؟ أنا قاومت رفضت ولكنه لم يمنحني حتى حق الاعتراض"

تسللت دجينة من جانبه بحذر شديد ..بصعوبة استطاعت أن تبعد ذراعيه التي تكبلها ككماشة ، وقفت تتأمل جسده الضخم الذي يستكين على السرير بملامح مسترخية مرتاحة وكأنه تناول طبق دسم من القشطة ،انحرفت عيناها على مكانها المكشوف فارتعش جسدها بوجع تلقائي ،لقد حصل آصف على دليله العملي بأنها بريئة الروح والجسد، تذكرت بحرقه صراخه الأمر أن تنظر لوجه أن تقر أنه حاميها أنها لن تستجدي العطف من غيره ثم تلبسه جنون كلي وهو يكتسح شفتيها كما جسدها يكرر بجنون أنه يعلم بأنها لم تجرب حتى معنى عاطفة رجل ، ومع صرخة خسارتها كان يزأر بصيحة الفارس المنتصر الذي فتح قلاعه المغلقة ليعلن أنه أول الفاتحين وآخر الغازين !

كانت انفاسها تتسارع وهي تقترب منه تلامس ذراعه الممددة جانبه، عقلها يغلي لأن تنهال عليه بالصفعات حتى يفيق ثم تخبره أنها اكتشفت فعلته الدنيئة، آصف أجرى صفقة معهٍ ووحدهما من يعلمان ابعادها وهي من اعتقدت أنه أحبها حقا وسيمنحها ما تريد كما وعد، ولكنها مجرد صفقة تنتقل لمن يدفع أكثر همست بألم " ترى كم كان ثمني يا آصف وهل

حاجتك للتأكد من تأمين بيت ابنة أختك كانت تستحق تضحيتك وتدميري"

ابتعدت تكفف دمعها ثم بعزم حديدي ٍكانت تنفض ضعفها وتتوجه إلى الخزانة التي منحها لها سابقا وهى كانت من الغباء ..أن تثق في حيوان مثله لم يتردد في استغلال ضعفها

❖❖❖❖❖❖❖

خلال عشرين دقيقة كانت دجينة ارتدت ملابسها، وبفعلة متهورة تفعلها للمرة الأولى طوال عمرها كانت تأخذ ماله وبطاقته الالكترونية، بل كل ما يمكن أخذه من أموال.

وبخط عريض كتبت بورقة جانبه

"لا تحاول البحث عني، أنت كنت مجرد مرحلة وانتهت من ٍحياتي، اعتقد أنك تأكدت بأنك الأول، ولكن أريد شكرك حقا لطالما تساءلت عن معنى جولةٍ عشقية بين ذراعي رجل وانت منحتني الاجابة بلطفك، وحقا كانت جولة ممتعة."

استيقظ آصف بعد وقت باحثاً عن دفئها، فلم يجد لها أثر لفت نظره تلك الورقة المعلقة على الحائط المقابل للفراش قبل أن يتمكن من الاستيقاظ الجيد كان يقف بالفعل ليخطف الورقة يقرأ سطورها الوقحة ..

ذهول ..صدمة ..شلل تمكن من ٍكل أطرافه قبل أن ينفجر بضحك صاخب منفلت متذكرا عبارته التي قالها لجلاء "إن ٍهجرته امرأته سيقوم بفصل رأسها عن جسدها دون تردد ،مهلا لحظة آصف غانم رجل الأعمال ذو البأس الذي لم تستطع امرأة قط أن توقعه في براثنها خدعته قطيطه مذعورة بائسة ، وليس هذا فقط لقد كان مجرد أداة متعة لتعرف زوجته المصون معنى عاطفة رجل "هو أصبح جولة عابرة بالفراش"

للحظات ساد الصمت حوله وتوقفت كل الأصوات داخل عقله

قبل ان يتدفق ادرينالين الغضب داخل عروقه وهو يصرخ بتوعد "دجينة سآتي بكِ ولو كنتِ في باطن البحار، ووقتها سأجعلكِ تعضين أصابعكِ قهرا وندما !!!!

تمت بحمد الله

٢٠١٨/٦/١٢

وللحديث بقية

سلسلة تمرد وحشي هي حالة جنونية منفلتة قررت كتابتها عبر سطور حاولت أن تكون خفيفة، السلسلة ستكون من ثلاثة أجزاء إن شاء الله، أتمنى أن تصل فكرة كل جزء منها ورسالتي، وإلى لقاء قريب إن شاء الله مع ابطال الجزء الثاني "آصف ودجينة"

.....

إهدائي السلسلة كاملة لحبيبتي بيرو معطى، عارفة أني أتعبكِ معي كثيرا، ولكن أنا أعلم أنكِ أدها يا بطلة ..يا جنية التحليلات

..أحبكِ في الله يا أحلى بيرو ..❤❤❤❤

خالص شكري الكبير للرسامة التونسية الغالية" Nedia Added"لمساعدتها الكبيرة لي بمدي بالمعلومات عن استخدام الألوان ومعانيها وعن مبادئ المدارس الوحشية ....